الأساليب-الإنشائية- في-شعر-عبد-الله-بن-الزبعرى

أحمد محمد حبشي

باحث ماجستير- قسم اللغة العربية

كلية الأداب- جامعة بني سويف

تمهيد :

إذا كان الأسلوب الخبري قد حظي باهتمام البلاغيين وعنايتهم ؛ مما جعلهم يُفردون له مساحة كبيرة من كتبهم وأبحاثهم، فإنَّ الأسلوب الإنشائي قد حظي باهتمام البلاغيين والأصوليين[1] على حدٍ سواء؛ فوجدنا البلاغيين قد وضعوا فروقًا بينه وبين الخبر، وقسَّموه إلى قسمين : طلبي وغير طلبي ، واهتموا بالقسم الأول أيَّما اهتمام ؛ لأنَّه في نظرهم كثير الاعتبارات، وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية بها .

أمَّا الأصوليون فقد كانت دراستهم لأسلوب القرآن الكريم، والحديث الشريف باعثًا لهم على دراسة علوم البلاغة بصفة عامة، ولمباحث الإنشاء بصفة خاصة، فوضعوا أبواب علم الأصول على أبواب علم المعاني، وتحدثوا في الأمرِ، والنَّهي، والاستفهام، والاستثناء، والمطلق، والمقيد ، إلى غير ذلك من أبواب علم الأصول ، وبذلك نرى أنَّ هذين العلمين – البلاغة والأصول– في غاية التداخل .

ولمَّا كانت معرفة الشيء فرعًا عن تصوره كما يقول الأصوليون في كتبهم ، فسيبدأ الباحث بتعريف الإنشاء في اللغة والاصطلاح ، ثم يشير إلى مفهوم الطلب عند الأصوليين ، ثم يتعرض للإنشاء الطلبي في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى وأغراضه البلاغية .

الإنشاء لغة :

ورد في لسان العرب : نَشَأَ ينْشَأُ نَشْئاً ونُشُوَءًا ونَشَاءً ونشأةً ونشاءةً : حيي ، وأنشأ الله الخلق : أي ابتدأ خلقهم ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النجم: ٤٧]، أي : البعثة...، وأنشأتْ السحابة : ارتفعتْ ...، وهو : الخلق ، والشروع ، والارتفاع ، والوضع"[2]. وبذلك نلاحظ أنَّ المعنى اللُّغوي للإنشاء مأخوذ من الابتداء والخلق .

---

[1]- **الأصوليون** : هم أصحاب المسائل الفقهية القائمة على الأدلة المستنبطة من الكتاب والسنة " انظر: اللمع في أصول الفقه : لأبي إسحاق الشيرازي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، 2002 م ، 1424هـ، ص4، وانظر : أصول الفقه: محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، 1958 م ، 1377 هـ ، ص4

[2] – لسان العرب ،ج49 ، مادة (نشأ) ، ص 4418

وأمَّا الإنشاء اصطلاحًا :

فهو كما يُعرِّفه السيوطي:" اقتران معنى الكلام بلفظه، ولا يقبل التَّصديق والكذب"[1] وبذلك يكون الإنشاء ضد الإخبار؛ لأنَّ الخبر- كما علمناه سابقًا -: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، أمَّا الإنشاء فلا يحتمل الصدق أو الكذب ؛ لأنَّه ليس لمعناه قبل التلفظ به وجود خارجي يطابقه أو لايطابقه؛ لأنَّه تعبير ذاتي ينشأ من ذات المتكلم، وأنَّه هو الَّذي يُنشئه، فلا يستطيع المتلقي أنْ يصلَ إليه إلَّا إذا أنشأه المتكلم، لينقله إليه "[2]

وهو –أي الإنشاء – عند الجرجاني : قد يُقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه"[3]

الطلب[4] عند الأصوليين:

اعتنى الأصوليون بالبلاغة، وعلومها، ومباحثهاعناية فائقة، لايستطيع عاقل أنْ ينكرها؛ والسبب في ذلك يرجع إلى عنايتهم بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، واستنباط الأدلة والأحكام منهما، لدرجة أنَّهم مزجوا البلاغة بالأصول؛ فهذا بهاء الدين السبكي (ت773هـ) يعلن أنَّه قد مزجَ في كتابه عروس الأفراح بين البلاغة والأصول، فيقول : "اعلم أنِّي مزجتُ قواعد هذا العلم – البلاغة – بقواعدِ الأصول، والعربية."[5]

والأساليبُ بنوعيها قدْ حظيت باهتمامٍ كبير من قِبل الأصوليين- لاسيما الأسلوب الطلبي منها – يقول بهاء الدين السبكي:" إنَّ الخبر والإنشاء اللَّذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول، وأنَّ كُلَّ ما يتكلم عليه الأُصُولي من كون الأمر للوجوب، والنَّهي للتحريم،

---

[1] – همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبد العال سالم وعبد السلام هارون ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2002 م ، 1421 هـ ، ص 12

[2] – نحو المعاني : أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1987م، ص 113

[3] – التعريفات : علي الجرجاني ، ص38

[4] – الطلب لغة : يكشف عنه ابن فارس في حديثه عن مادة (طلب) فيقول : الطاء واللام والباء أصل واحد، ويدل على ابتغاء الشيء ، ويقال : طلبت الشيء أطلبه طلبًا ، وهذا مطلبي وهذه طلبتي ...، وأطلب الكلأ : تباعد حتى طلبه القوم، وهو ماء مطلب" انظر : معجم مقاييس اللغة :لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر ، ط3، مادة (طلب)

[5] – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2003 م 1423 هـ ، ج1، ص27

ومسائل الأخبار، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتفصيل، والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني...، فإنْ قلتَ أين كان هذا العلم في زمن الصحابة الذين يعرفون أسرار العربية ، وانكشف لهم أوجه الإعجاز ؟ قلتُ: كان مركوزًا في طبائعهم. "[1]

وقد رأى أحد الباحثين المحدثين أنَّ بحوث الأصوليين في البلاغة أخذت تتسع وتتسع على مدار الأيَّام حتى استغرقت صفحات طويلة من كتبهم، وأفادوا في ذلك البلاغة العربية أيَّما إفادة، وأثروا جوانبها إثراءًا زاد من تفاصيلها، بل ومن تعقيدها وبخاصة عند المتأخرين."[2]

ومن مظاهر اهتمام الأصوليين بالأساليب ، وعنايتهم بها ؛ تقسيمهم إيَّاها تقسيمًا يشبه تقسيم البلاغيين لأبواب علم المعاني ؛ فجعلوا بابًا في الأمر والنَّهي، وبابًا في الاستثناء والشرط إلى غير ذلك من الأبواب، ثُمَّ فَصَّلوا القولَ في هذه الأبواب، وتناولوها باستفاضة مقطوعة النَّظير؛ فعلى سبيل المثال نجد صاحب اللُّمع في أصول الفقه يُفَصِّلُ القولَ في الأمر، فيقول:" اعلم أنَّ الأمر قولٌ يستدعي به الفعل ممن هو دونه ، ومن أصحابنا من زاد فيه على سبيل الوجوب ، فأمَّا الأفعال التي ليست بقول فإنَّها تُسمَّى أمرًا على سبيل المجاز، ومن أصحابنا من قال ليس بمجاز ....، كذلك ما ليس فيه استدعاء كالتهديد، مثل قوله عز وجل: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [فصلت ٤٠]، والتعجيز، كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ [هود: ١٣]، والإباحة مثل قوله عزوجل :﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢]، فذلك كله ليس بأمره ، وقال البلخي من المعتزلة: الإباحة أمر، وهذا خطأ لأنَّ الإباحة هي الإذن وذلك لا يسمى أمرًا، ألا ترى أنَّ العبد إذا استأذن مولاه في الاستراحة، وترك الخدمة فأذنَ له في ذلك لا يُقال أنَّه أمره بذلك.[3]، ثم يسهب في الحديث عن الأمر فيقول :" وكذلك ما كان من النَّظير للنَّظير، ومن الأدنى للأعلى فليس بأمر، وإن كان صيغته صيغة أمر، وذلك

---

[1] - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي ، ج1، ص53

[2] – أثر النحاة في البحث البلاغي عند العرب : عبد القادر حسين ، ص48

[3] – اللمع في أصول الفقه : للشيرازي ،ج1 ، ص12

كقول العبد لربه: اغفر لي وارحمني فإنَّ ذلك مسألة ورغبة...، وأمَّا الاستدعاء على وجه النَّدب فليس بأمر حقيقة"[1]

وعندما تعرض لمبحث النَّهي قال:" فأمَّا حقيقته فهو القول الذي يستدعي به ترك الفعل ممن هو دونه...، وله صيغة تدل عليه في اللُّغة وهو قوله: لا تفعل، وإذا تجردت صيغته اقتضت التحريم، وقالت الأشعرية: لا تقتضي التحريم ولا غيره إلَّا بدليل، والدليل على ما قلناه أنَّ السيد من العرب إذا قال لعبده: لا تفعل كذا ففعل استحق الذم والتوبيخ فدل على أنَّه ينبغي التحريم. وإذا تجردت صيغته اقتضت الترك على الدوام وعلى الفور بخلاف الأمر."[2]

هذا قليل من كثير، وإنَّما مرادنا مما ذكرنا أنْ نوضحَ مدى اعتناء الأصوليين بالأساليب، وتلونها لديهم، ومدى تأثرهم بمباحث البلاغة وتأثيرهم فيها .

الأسلوب الإنشائي بين البلاغة والتَّداولية :

تعرضنا لمفهوم التداولية في الفصل الأول من هذه الدراسة وعلمنا أن التداولية هي "دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل، "أوأنَّها بعبارة بسيطة :" علم الاستعمال اللُّغوي "[3]

وإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وإنَّما سميت بلاغة : " لأنَّها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه "[4]، فإنَّ هناك تشابهًا كبيرًا بين ما تنادي به التداولية ، وما تبحث عنه البلاغة العربية، بل إنَّ الباحثَ المتأملَ يستطيعُ القولَ بأنَّ التداولية الحديثة بكل مصطلحاتها ونظرياتها – خاصة فيما يتعلق بالاستعمال اللُّغوي– ما هي إلَّا صورة جديدة للبلاغة العربية عندالعلماء العرب، بل وعند السكاكي في مفتاحه بصفة خاصة ، ولا تكاد تجد فرقًا بين البلاغة والتداولية إلَّا فيما ذكرناه سابقًا من أنَّ البلاغة العربية ترتقي بمستوى البحث اللُّغوي ؛ فمجال بحثها القرآن الكريم، والشعر، أمَّا التداولية فتبحث في كل مستويات الخطاب اللُّغوي ولا تفرق بين الخطاب الرَّسمي، وغير الرَّسمي .

---

[1] - اللمع في أصول الفقه : للشيرازي ،ج1 ، ص13

[2] – اللمع في أصول الفقه : للشيرازي ، ص24

[3] –انظر تعريف التداولية في الفصل الأول من الرسالة ، ص45

[4] – الصناعتين للعسكري ، ص6

وهناك من الباحثين المحدثين من يُسوي بين البلاغة والتداولية، ويرى أنَّ البلاغة :" تداولية في صميمها ؛ إذ إنَّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسَّامع "[1]

والأسلوب الإنشائي بوصفه لغة مستعملة لا يمكن لأي إنسان أنْ يستغنى عنه في حياته اليومية، لذلك حظي باهتمام كبير من جانب التَّداوليين، وقد ظهر هذا الاهتمام جليًا فيما يُعرف عندهم بنظرية الأفعال الكلامية (Theory of speech act)، والفعل الكلامي : يعني : التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمَّ فالفعل الكلامي يراد به: الإنجاز الَّذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته الأمر، والنَّهي، والوعد، والسُّؤال، والتَّعيين، والإقالة، والتَّعزية، والتَّهنئة، فهذه كلها أفعال كلامية "[2]

وينقسم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية[3]، هي :

أ- فعل القول أو الفعل اللغوي أو الفعل اللفظي (Acte locutoire) : يتألف من أصوات لغوية ، تنتظم في تركيب نحوي صحيح ، ينتج عنه معنى محدد ، وهو المعنى الأصلي .

ب-الفعل الإنجازي أو الفعل المتضمن في القول (Acte illocutoire: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي ؛ أي : ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات .

ج- الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول (Acte perlocutoire): وهو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع .

والطلب عندالسكاكي ينحصر في خمسة أبواب، هي :(التمني، والاستفهام، والأمر، والنَّهي، والنِّداء)، وهذه الأبواب الخمسة قد تخرج عن أصلها فَيُتَولَدُ منها أغراضٌ أخرى- كما سنرى- هذه الأغراض هي صميم بحث نظرية الأفعال الكلامية .

وينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين:

أ- الأسلوب الإنشائي غير الطلبي :

---

[1] - من هؤلاء الباحثين : جيفري ليتش (g.Leitch) انظر :التداولية والبلاغة العربية : باديس لهويمل مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد حيضر ، الجزائر ، العدد السابع ، 2011 م ص168.

[2] - التداولية في الدراسات النحوية : عبد الله جاد الكريم ، ص43 ؛وانظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي، ص10

[3] - التداولية في الدراسات النحوية : عبد الله جاد الكريم ، ص43

وهو ما لا يستلزم مطلوبًا ليس حاصلًا وقت الطلب[1].

ويَميلُ علماء البلاغة إلى إخراجه من حيّز البلاغة ؛ لقلة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه ، ويرون أنَّ ألوانه يمكن أنْ تُدرج في سلك الأخبار، اللَّهمَّ إلَّا أسلوب الرجاء ؛ فهو أقرب إلى الإنشاء الطلبي، ويُلحق ببحث التَّمني ، ومن ثَمَّ فإنَّ الإنشاءَ غير الطلبي أقرب إلى مباحث النحو من مباحث البلاغة "[2]

صيغ الإنشاء غير الطلبي:

1- أفعال المدح والذم : ويكونان ب(نِعْمَ وبِئْسَ) ، وما جرى مجراهما نحو حبَّذا ولا حبَّذا ، والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم، نحو قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]

ونحو قول الشاعر من الطويل[3]:

ألا حبَّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ وهندٌ أتى من دونِها النأيُ والبعدُ

ومنه في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى، قوله يمدح خلف بن وهب وأهله من الكامل[4]:

نِعْمَ الشَّبَابُ شبابُهم وكُهولُهم صُبَّابةٌ ليْسوا من الجُهَّالِ

فالتركيب النَّحوي في أسلوب المدح (نعم الشباب شبابهم) سواء أكان يتكون من جملة أو جملتين(كما يرى النُّحاة)، يلعب دوراً تداولياً وسياقيًا بتناغمه مع باقي العناصر التركيبية التي يتكون منها البيت .

2- صيغ العقود : وهي ألفاظ تستعمل في البيع والشراء، ونحو ذلك، مثل : بعت، واشتريت، ووهبت، وأعتقت، نحوقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

[1]- الأساليب الإنشائية في النحو العربي : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط5 ، 2001 م ، 1421هـ ، ص 13 ويشير عبد السلام هارون في نفس الصفحة أيضًا إلى أنَّ البلاغيين لا يلقون بالا" إلى هذا القسم الثاني لقلة المباحث المتعلقة به ، ولأنَّ أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء

[2] – مدخل إلى البلاغة العربية .: يوسف أبو العدوس .، ص63

[3] – البيت من الطويل للحطيئة في ديوانه :شرح: حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 39

[4] - البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه : ص43 ، والبيت في الأغاني ، ج7 ، ص114، والصبابة : الخيار من كل شئ

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١]، والشاهد في الآية قوله تعالى:(اشترى – ببيعكم)، ولم يقف الباحث عليها في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى إلَّا في نحو قوله[1]:

أنشُدُ عثمانَ بنَ طلحة حلفنا ومُلقى نِعالِ القومِ عند المُقّبَلِ

وما عَقدَ الآباءُ من كلِّ حلفةٍ وما خالدٌ مِن مثلِها بِمُحلَّلِ

حيثُ وردت لفظة (عقد – الحلف) بمعنى العقد والمعاهدة .

3- أسلوب القسم [2]:

ويتركب أسلوب القسم من :أداة القسم، والمُقسَمْ به، والمُقسَمْ عليه، وهو جواب القسم، نحو قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ [مريم: ٦٨]، فحرف القسم هو (الواو)، والمقسم به هو (ربك)، والجواب (لنحشرنهم).

وأدوات القسم ثلاثة أقسام (حروف[3])، و(أفعال[4])، و(أسماء[5])،" ولا يكون القَسَم إلَّا باسم مُعظَّم ، وقد أقسم الله بنفسه في القرآن الكريم في سبعة مواضع"[6]، كما أنَّ أسلوب القسم في

---

[1] – البيتان من الطويل لعبد الله في ديوانه ، ص 44، والمنمق ،ص335

[2] – من علماء البلاغة من عدَّ أسلوب القسم من الإنشاء الطلبي كالتفتازاني والخطيب القزويني ، وعلة ذلك أنَّ:" المتكلم ينشيء يمينًا للتعبير عن صحة ما يعتقده " انظر : البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي ، ص92

[3] - وهي الواو والباء والتاء واللام الهاء والهمزة ومن وتعمل فيما بعدها الجر وهذه الحروف لها دلالات مثل الاستعطاف والتعجب والتوسع ،انظر: الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي ، ص377 وما بعدها

[4] – وهي أقسم وأحلف وعاهدت وآليت وغير ذلك

[5] –وهي عمر وايمن ويمين وهي مبتدأ خبره محذوف

[6] – معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1988 م، 1408 هـ ، ج1، ص342 ، ومن المواضع التي أقسم فيها المولى عز وجل بنفسه في القرآن الكريم : قوله تعالى ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ ﴾ [يونس: ٥٣]، وقوله تعالى :﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [مريم: ٦٨]، وقوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله تعالى :﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المعارج: ٤٠]

جملته يدل على عِظم المقسم به،" وفائدته تأكيد الجملة الخبرية، وتحقيقها عند السامع."[1] وقد أقسم الله تعالى بنبيه–صلي الله عليه وسلم – في كتابه العزيز، فقال تعالى :﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

وقد ورد القسم في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى نحو قوله من الهزج[2]:

فإنْ أحْلِفْ وبيتِ اللـهِ لاأحلِفُ عنْ إثمِ

وورد أيضًا في قوله من الطويل[3]:

لَعَمْرُكَ ما جاءتْ بنكرٍ عشيرتي وإنْ صالحتْ إخوانَها لاألومُهَا

والقسم هنا يدل على عظمة من يخاطبه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ومدى حبه إيَّاه ؛ وإلَّا فلماذا يقسم بحياته ؟

4–صيغتا التعجب : ويكون قياسًا بصيغتين هما (ما أفعله!، وأفعل به !) ومن أمثلته قول المتنبي[4] :

ما أبعدَ العيبَ والنُّقصانَ منْ شَرَفي أنا الثُّريا وذانِ الشَّيبُ والهَرَمُ

ويكون سماعًا[5] بصيغ أخرى نحو: ليت شعري، لله درك ، والله أكبر، وسبحان الله، وجملة ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى قد خلا من صيغ التعجب على السواء – سماعية وقياسية .

5– أفعال الرجاء : وتكون بحرف واحد هو (لعل)، وبثلاثة أفعال، هي: (عسى وحرى واخلولق)

---

[1] - معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي : ج1، ص341

[2] - البيت من الهزج من قصيدة لعبد الله في ديوانه : ص48 ، والأغاني :ج1 ص66 لأبي نهشل الخزاعي نحلها ابن الزبعرى ، والبيت لابن الزبعرى في طبقات الشعراء :ج1 ، ص240 ، ونوادر أبي زيد :ج3 ص198 ، ، ونسب قريش : ص300 ، وأنساب الأشراف :ج1، ص43 ، والاشتقاق : ص122 ، والعقد الفريد :ج5 ، ص258 ، ونهاية الأرب،ج15، ص429

[3] – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه : ص50 ، والبيت مع بيت آخر في طبقات الشعراء :ج1 ، ص237

[4] - البيت من البسيط للمتنبي في ديوانه: ص333 قافية الميم ، يقول : إنَّ العيب والنقصان بعيدان عني كبعد الشيب والهرم عن الثريا.

[5] – مدخل إلى البلاغة العربية : يوسف أبو العدوس ، ص65

نحو قوله تعالى :﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥٢]، وهذه الأفعال أيضًا لم ترد في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى .

6- كم الخبرية[1] : وهي التى تدل على الكثرة أو يقصد بها الكثرة أو يكنَّى بها عن العدد المُبهم ، نحو قول أبي تمام[2] :

كمْ منزلٍ في الأرضِ يعشقهُ الفتى وحنينـهُ أبـدًا لأوَّلِ منـزلِ

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حيثُ شِئْتَ مِن الهوى مـا الحـبُ إلَّا للحبيـبِ الأولِ

كما أنَّ لها بعدًا تداوليًا حجاجيًا مُهمًا ؛ يسهم في إثراء العملية الحجاجية بين المرسل والمرسل إليه، فقد يكون المُرسل لا يريد أن يفصحَ عن كل ما لديه من معلومات للمرسل إليه، فيستخدم الكلمات التي تساعده على ذلك، ومنها كم الخبرية، وكذا وكذا، وكيت وكيت، وغيرها" نحو : قول القائل:"زارني عبدالخالق، وقال لي: كيت وكيت ، في حين قديحكي لصديق آخر الأمر بالتفصيل."[3]

وجاءت كم الخبرية في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى في أكثر مِن موضعٍ للدلالة على الكثرة ، نحو قوله من الرمل[4] :

كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ وَأَكُفٍّ قَدْ أُتِرَّتْ وَرِجِلْ

كَمْ قتلنَا من كريم سَيِّدٍ مَاجِدْ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ

وكم الخبرية في البيتين تدل على الكثرة ؛ حيث يفتخر الشاعر بالنصر على المسلمين، وقتل ساداتهم في أحد ، لدرجة أنَّ عدد القتلى والجماجم الملقاة على أرض المعركة لا تُعد ، وفي البيت الأول أسند الفعل (ترى) للضمير المخاطب الغائب للدلالة على العموم ؛ بمعنى أنَّ

---

[1] – وتعرب كم الخبرية تبعًا لما تدخل عليه ، ودلالتها أصلية فيكون إعرابها حسب العامل بعدها ، فتقع في محل رفع أو نصب أو جر ، فترفع على وجهين ، إما خبرًا مقدمًا و ما بعدها المبتدأ وإما العكس ، وتنصب على ثلاثة أوجه (مفعول به أو مفعول مطلق أو مفعول فيه بشروط وتكون في محل جر في موضعين إذا دخل عليها حرف جر، نحو بكم رجل مررت، وأن تكون مضافًا إليها :انظر : الكتاب :ج2 ، ص170 وما بعدها ، وشرح المفصل :لابن يعيش ج4 ، ص128و ما بعدها

[2] – البيتان من الكامل لأبي تمام في ديوانه : ص261

[3] – استراتيجية الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص303بتصرف

[4] – البيتان من الرمل لعبد الله في ديوانه : ص41 والسيرة النبوية ، ج2، ص136 ، والبداية والنهاية لابن كثير،ج4 ص55 ، وشرح شواهد المغني : ج2، ص549 ، وشرح نهج البلاغة ، ج14 ، ص279 ، ومعجم البلدان: ج2، ص237 و239 والجر : موضع بأحد ، والسرابيل : الدروع ، وسريت : جردت

كل من يتأتى منه الرؤية فهو مخاطَب، وموجه إلى رؤية الجماجم، والأكف، والأرجل التي أُترتْ في أرض المعركة، وقد يكون المخاطب (السامع) معلومًا للشاعر ولذلك لم يذكره صراحة.

ويقول أيضًا في رثاء قومه من الكامل[1]:

كَمْ ناصرٍ لي في القبورِ وناطقٍ حقًّا إذًّا انبعث الخطيبُ السلجمُ

ولا يخفى البعد التداولي الذي يقصده الشاعر من محاولة استعطاف السامع؛ ليشاركه أحزانه ومصابه في قومه؛ فاستخدم كم الخبرية التي تفيد المبالغة في الكثرة مع تمييزها، والعطف عليه بالواو التي تفيد الجمع، وكأنَّه يشير إلى فصاحتهم، ومقدرتهم على المُحَاجَّة، ورد الحقوق لأصحابها ، فهم يغلبون غيرهم من الفصحاء .

هذا هو الأساس الذي سار عليه النُّحاةُ والبلاغيون في تقسيمهم للأسلوب الإنشائي ، وقد ذكر أحد الباحثين[2] أنَّه لم يخرج عن هذا التقسيم إلَّا دا مهدي المخزومي ؛ حيث ذكر أنَّ الطلب في الكلام نوعان[3]: طلب بالفعل ويأتي على صيغة (افعل)، وطلب بالأداة ؛ كأدوات الاستفهام ، والحض ، والترجي، وأداة النَّهي ، وأداة الأمر . أمَّا غير الطلبي فهو ما يعبر عن مدح أو ذم ، وتعجب، وحمد، وشكر ، ولعن وشتم .

ومن الجدير بالذكر أنّ المعاني الإنشائية قد ترد في الأسلوب الخبري والعكس ؛ بمعنى أنَّ الأسلوب الإنشائي قد يحتمل الخبر، والأسلوب الخبري قد يحتمل الإنشاء، نحو قولك لصديقك:(غفر الله لك) فهذا أسلوب خبري يحتمل الدعاء، والدعاء من الأساليب الإنشائية ، ونحو : قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشرح: ١]، أي : شرحناه ، ونحو : (تمنيتُ لك الخير) أي ليتك بخير ، ونحو (ناديتُ عمرًا ، فأقبل إليّ) أي : يا عمرو أقبل .

---

[1]– البيت من الكامل لعبد الله في جمهرة نسب قريش وأخبارها تحت رقم 2281 ، وملحوظات على الديوان، ص131

[2] – الجملة الطلبية في شعر الشافعي دراسة تركيبية دلالية : فهد حسن هجرس بن غيام ،جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، قسم اللغة العربية ، ماجستير ، 2013 /2014م ، ص23

[3]– في النحو العربي قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ط1 ، 1986م، ص 165 وما بعدها بتصرف ؛ وانظر: الجملة الطلبية في شعر الشافعي دراسة تركيبية دلالية ، ص23

وعندئذٍ يأخذ الكلام طابع الحكاية والخبر، فيحتمل الصدق والكذب، كما أنَّ الإنشاء إذا ورد بمعنى الخبر، فليس فيه مبالغة ، بخلاف عكسه فإنه يفيد المبالغة "[1]

ومنه في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى[2] :

فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِي ؟

فهنا خرج الأسلوب الخبري إلى الإنشاء في قوله:(ضلَّ سعيك)؛ وهي جملة فعلية خرجت إلى معنى الإنشاء ؛ فضل سعيك قد تكون بمعنى الخبر أي إخبار الشاعر بأنَّ موهبًا ضل سعيه عندما فكَّر في معاداة سهيل بن عمرو، وقد تخرج إلى معنى الدعاء عليه بالضلال في السعي ، وهذا معنى خروج الأسلوب الخبري إلى معنى الإنشاء . وكذلك قوله[3] :

حَيَّا الإلهُ أبَا الوَلِيدِ ورَهْطَهُ رَبُّ الأنامِ وخَصَّهم بِسلامِ

خرج الأسلوب الخبري إلى معنى الإنشاء في هذا البيت ؛ فجملة : حيَّا الإله جملة فعلية معناها : اللهمَّ حيي أبا الوليد ورهطه وكذا جملة : وخصهم بسلام معناها : اللهمَّ خُصَّهم بسلام ، كما أنَّ تكرار التحية في أول البيت ، والسلام في آخره أفاد تقرير المعنى، وإثباته، وله دلالة على المبالغة في الدعاء لهم ، فتكرار اللفظ أو مرادفه يقرر المعنى لدى السامع ويؤكده ، كما أنَّ ختم القصيدة بهذا البيت الذي يحمل معنى الدعاء ، له دلالة على حسن التخلص في شعر عبد الله بن الزبعرى .

ب – الأسلوب الإنشائي الطلبي: ويعني البلاغيون بالإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوبًا ليس حاصلًا وقت الطلب"[4]، ويقع هذا الإنشاء في خمسة أنواع هي : الأمر، والنَّهي، والتَّمني، والاستفهام، والنداء، نحو قول الشاعر من البسيط[1] :

---

[1] – الطراز المتمم لأسرار البلاغة : للعلوي ، ج2 ، ص294 ، وانظر : دلالات التراكيب دراسة بلاغية: محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1987 م، 1408 هـ ، ص192

[2] – البيت من الوافر لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه: ص33، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام :ج2، ص325، ولايناوي :لايعادي ،وترك الشاعر همزة (يناوىء) لضرورة الشعر.

[3] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه ص47 والسيرة النبوية ،ج2 ص15–16، وأنساب الأشراف،ج1، ص308

[4] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي : عبد السلام محمد هارون ، ص13

ليتَ الكواكبَ تدنو لي فأنظِمُها عقودَ مَدْحٍ فما أرضَى لكُمْ كَلِمي

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الأنواع الخمسة قد تخرج عن دلالاتها الأصلية إلى أغراض ودلالات أخرى بحسب ما يقتضيه المقام، وهو ما يعرف عند التداوليين ب(الأفعال المتضمنة في القول) وهو الفعل الإنجازي الحقيقي ، إذ إنَّه عملٌ يُنْجَزُ بقولٍ ما، فالأمر مثلًا قد يخرج إلى الدعاء، أو الالتماس، أو التهديد .

الإنشاء الطلبي في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى وأغراضه البلاغية :

أولًا : الأمر : لغةً: ورد في اللِّسان :الأمر : نقيض النَّهي ، و أمرهُ يأمرهُ أمرًا وأمارًا فأتمر: أي : قبل أمره والأمر : مفرد لكلمة الأمور، يُقال : أمرُ فلان مستقيم ، وأموره مستقيمة ، والأمر : الحادثة"[2] وفي المعجم الوسيط : هو الحال، والشأن، والطلب، أو المأمور به "[3]

واصطلاحًا : عرَّفه : السَّكاكي بأنَّه : طلب الفعل بصيغةٍ مخصوصةٍ ، والقصد من هذا أنْ يكون على وجه الاستعلاء ، أي يصدر من مرتبة أعلى لمرتبة أدنى ، ليكون أمرًا حقيقيًا ، وإلَّا خرج إلى معنى آخر وهو الدعاء، إذا كان من رتبة أدنى إلى أعلى كالأمر الصادر من العبد إلى ربه ، أو الالتماس إذا كان بين رتبتين متساويتين "[4] ويكثر الأمر الذي على وجه الاستعلاء والإلزام في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١١٠]، وللأمر طاقة حجاجية مكتنزة الدِّلالة ؛ إذ به تفتتح السور القرآنية ليمتثل المعنى المراد تراتبيًا فيما يليه حيث القصد من الخطاب، وهو خاصية قرآنية تنماز بها كثير من السور

---

[1] – نسب هدا البيتَ الدكتور محمود الطناحي، فقال: "هذا البيت مع كثرة إنشاد الناس له، لم أجد من نسبه، وقد رأيته في قصيدة لعُمارة اليمني، قالها في سنة خمسين وخمسمائة، في مدح الفائز بن الظافر صاحب الديار المصرية، ووزيره الصالح بن زُرِّيك، من البسيط ومطلعها:

الحَمْدُ لِلعِيسِ بَعْدَ العَزْمِ وَالهِمَمِ حَمْدًا يَقُومُ بِمَا أَوْلَتْ مِنَ النِّعَمِ

انظر: وفيات الأعيان :لابن خلكان، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، 1900 م، ج3 ، ص433،432؛ وانظر : في اللغة والأدب بحوث ومقالات: محمود الطناحي،ج2 ، ص509

[2] – لسان العرب لابن منظور ، مادة (أمر) ص 125وما بعدها

[3]– المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس وآخرون : دار إحياء التراث ، ط4، 1961م ، مادة: أمر

[4] – مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 318 ؛ وانظر :علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني) : بسيوني عبد الفتاح فيود ، دار المعالم للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط2 ، ص287 ، وانظر: البلاغة فنونها وأفنانها ، ص 149

القرآنية للإيحاء بالحدث المرافق للزمن في دائرة الموضوع المقصود ، المطلوب تحقيق اجرائيته لما فيه من بواعث دافعة ودلالات كامنة ، هدفها في النِّهاية الإقناع بملاحظ تفهم من السياق، قد تكون للاعتبار، أو للإرشاد، أو الالتزام، أو التحذير، وغير ذلك ، ويسميه(أوستن)ب(الفعل القولي), لأنَّه يهدف بالأساس إلى صياغة مواقع جديدة بحضور طرفي الخطاب في الزمان والمكان ويرتبط الأمر بردة فعل المتلقي"[1]. وتتجلى قيمته الإنجازية بالحدث الفعلي أو ماسيحدث مستقبلًا.

وأسلوب الأمر له صيغ أربع[2]، هي :

(أ) فعل الأمر[3]: وهو أنْ يدل على طلب الفعل بصيغته حقيقة في الإيجاب، وهو أمر المخاطب بقول القائل لمن دونه (افعل)، وفيه ضمير مستتر وجوبًا لا يظهر، فإذا كان الأمر لواحدة، أو اثنتين، أو جماعة برز الضمير معه، نحو (اضربي، واضربا، واضربوا، واضربن)، وهي مرفوعة لطلب الفعل استعلاءً، وحقيقة "[4]، وكقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ۝٦ ﴾ [المائدة:٦].

أمَّا ابن هشام فقد بيَّنَ البنية الدلالية للأمر بقوله :"ولمَّا فرغت من ذكر علامات الماضي وحكمه وبيان ما اختُلف فيه منه، ثنيتُ بالكلام على فعل الأمر؛ فذكرتُ أنَّ علامته التي يُعْرفُ بها مركبة من مجموع شيئين، وهما : دلالته على الطلب ، وقبوله ياء المخاطبة ، وذلك نحو (قُمْ) ، فإنَّه دال على طلب القيام، ويقبل ياء المخاطبة، تقول إذا أمرت المرأة : قومي ، وكذلك : اقعد واقعدي"[5]

---

[1] - الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: سامية الدريدي ،عالم الكتب الحديث ، اربد الأردن ، ط2، 2011، ص147

[2] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي: لعبد السلام هارون ، ص 14

[3]– اختلف النحاة في إعراب هذا الفعل ؛ فهو عند البصريين مبني على السكون لأنه الأصل ، يقول سيبويه: (والوقف قولهم : اضرب في الأمر ، لم يحركوها لأنها لايوصف بها ولا تقع موقع المضارعة ، فبعدت من المضارعة ... ، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه افعل)، انظر: الكتاب : ج1 ، ص11

[4] - الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني :ج1، ص241 ؛ وانظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ج1، ص96؛ وانظر: معترك الأقران :السيوطي ،ج1 ، ص 441

[5] – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ص13 ، 14

وقد ورد الأمر بهذه الصيغة كثيراً في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى-τ- نحو قوله من الكامل[1]:

فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ وَمَحِلَّةٍ خَلْقِ الْمَقَامِ يَبَابِ

وَاذْكُرْ بَلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمْ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ الْأَنْصَابِ

ونحو قوله من الكامل أيضًا[2]:

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا زَلَلِي، فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ

يعتبر ابتداء عبد الله بن الزِّبَعْرَى بأسلوب الأمر في معظم قصائده ومقطوعاته من أهم السمات الأسلوبية في شعره، والتي تدل على بلاغته، وقدرته في توظيف أسلوب الأمر حسب قصده ومراده، وكذلك حسب المواقف الكلامية التي يتعرض لها، وقد اشتملت الأبيات الثلاثة السابقة على ورود فعل الأمر (اترك – اذكر – اشكرهم – اغفر) على الترتيب ، وفعل الأمر له دور حجاجي مهم في عملية التخاطب ؛ فهو يستدعي المُخَاطَب بنفسه ليسمع الأمر من المتكلم وينفذه ، وهو أيضًا " ينطوي على (أنت) الذي يوجه إليه الخطاب "[3]والبيت الثالث يدل على فصاحة شاعرنا وبلاغته؛ فالقيمة الدلالية للفعل اغفر قد استوعبت بداخلها كل ما سواها من العفو والصفح ، بمعنى أنَّ المغفرة أوسع من العفو والصفح فالنبي-ρ- لن يغفر إلا إذا عفا أولاً ، وصفح ثانيًا، يقول تعالى في قصة الإفك ، مبينًا هذا المعنى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، فالعفو والصفح من صفات البشر، أمَّا المغفرة فمن صفات الله عز وجل.

وإذا أردنا أن نطبق نظرية الأفعال الكلامية الحديثة على أسلوب الأمر في هذا البيت ، فإنَّنَا نستطيع القول: بأنَّ الفعل الكلامي (اغفر) يتكون من :

---

[1]– البيتان من الكامل لعبد الله بن الزبعرى في ديانه : ص 29 ، والسيرة النبوية لابن هشام ،ج2 ، ص257، والبداية والنهاية لابن كثير ، ج4 ، ص132 ، والأنصاب : هي الحجارة التي يعلم بها الحرم ، والأنصاب أيضًا: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها

[2] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص46، والسيرة النبوية ،ج2 ،ص 419 ، ونهج البلاغة ، ج18، ص18، والبداية والنهاية ، ج4 ، ص309 والاستيعاب ج2 ، ص311 برواية :(فاعف فدى لك والداي كلاهما ..وارحم فإنك راحم مرحوم)، وأسد الغابة ،ج3 ، ص160 ، والعقد الثمين ،ج5 ، ص139 برواية : (والداى كلاهما ...وارحم فإنك)، والبيت في طبقات الشعراء ، ج1، ص243 برواية :(ذنبي فإنك)

[3] -- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط1 ، 2004 م ، ص83

فعل إسنادي (جملة فعلية) تتكون من فعل الأمر وموضوعه الضمير المستتر في (أنت) الدال على المخاطب رسول الله–ρ– والذي أُسند إليه المغفرة ، لأنَّه هو الذي يستطيع ذلك . والمفعول به (زللي).

فعل دلالي : يدل على لجوء عبد الله إلى رسول الله، وإعلانه الإسلام في حضرته–ρ– .

فعل إنجازي : يتمثل في استعطاف الشاعر لرسول الله –ρ– والذي بدوره قبل الاستعطاف، وغفر الزلل لعبد الله بن الزِّبَعْرَى .

(ب) المضارع المقرون بلام الطلب ، وهي التي تسمى بلام الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ ﴾ [الحج: ١٥].

وقد اختلف البلاغيون في دلالة المضارع المقرون بلام الأمر ؛ فذهبوا مذهبين :

أمَّا الأول : فيرى أنَّ الصيغة الدالة على طلب الضرب في (ليضرب زيد) هي الفعل ، واللام قرينة على إرادة الطلب .

وأمَّا الثاني : فيحتمل أنْ يكون المجموع من اللَّام والفعل هو الدال على الطلب ، وقال القزويني : والأظهر أنَّ صيغته من المقترنة باللَّام نحو (ليحضر زيد)[1]، وهذه الصيغة لمْ ترِدْ في شعر عبد الله ابن الزِّبَعْرَى .

(ج)اسم فعل الأمر[2]، كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ١٠٥ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقولك: (نزال يا زيد)، ونحو قول الشافعي[3]:

حَسْبِي بعلمي إنْ نفعْ ما الذُّلْ إلَّا في الطَّمعْ

وقد وردت هذه الصيغة في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى –τ– مرتين في قوله من الكامل[4]:

والرَّائشينَ وليْسَ يُوجَدُ رائشٌ والقائلينَ هلُمَّ للأضيافِ

وقوله أيضًا من الكامل [1]:

---

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني : ج1، 241

[2] – وهذه التسمية (أسماء الأفعال) نحو (صه ومه وهلم ورويدا" وحذار وسراع وحراك وغيرها) تسمية شائعة في كتب النحو، غير أنَّ الكوفيين قد زعموا أنَّها أفعال ، وذلك لدلالتها على الحدث والزمان) انظر: همع الهوامع للسيوطي، ج5، ص211

[3] – البيت من مجزوء الكامل للشافعي في ديوانه : ص281

[4] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه : ص53، والبيت في شرح الشواهد للعيني ، ج4 ، ص140 ، والرائشون : المترفهون ، وارتاش الرجل : حسنت حاله ، والريش والرياش : المال والخصب والمعاش .

والمُفْضِلونَ إذا المُحُولُ تَرادفَتْ والقائلونَ هلُمَّ للأضيافِ

(د) المصدر النائب عن فعل الأمر ، نحو قوله تعالى:﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤]، ونحو قولك : (صبرًا على الشدائد) أي اصبر، وقد ورد المصدر منصوبًا على إضمار فعل ، يقول سيبويه : " وإنَّما اختزل الفعل ها هنا لأنهم جعلوه بدلًا من اللفظ بالفعل كما جعل الحذر بدلًا من احذر ، وهذه المصادر كما جاءت في الأمر تأتي في الدعاء نحو : سقيًا لك، أي سقاك الله ، وقد انتصب المصدر سقيًا بفعل مضمر على تقدير (سقاك الله سقيًا) وهو من باب المصادر المنصوبة التي تنوب عن فعلها في العمل، وقد ترك إظهار هذا الفعل لأنَّها صارت بدلًا منه "[2]

ولم ترد هذه الصيغة في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى إلَّا مرة واحدة في قوله من الكامل[3]، يمدح خلف ابن وهب وأهله :

سقيًا لوَهْبٍ كَهْلِهَا ووليِدها ما دام في أبياتها الذَّيأَلُ

والسبب في ذلك – من وجهة نظر الباحث– يرجع إمَّا إلى ضياع معظم شعره ، فضاعت هذه الصيغة مع ما ضاع من شعره ، وإمَّا لاعتماده على الصيغة الأصلية للأمر وهي (فعل الأمر الصريح) التي تدل على طلب الفعل حقيقة في الإيجاب ،"فالمعنى الحقيقي لصيغة الأمر ... هو الطلب على جهة الوجوب ، إذ هو المفهوم عند الإطلاق ، وما عداه من المعاني يحتاج إلى قرائن تحف به ، تُستفاد من سياق الكلام، وقيل غير ذلك "[4]، وقد تكون المواقف الكلامية التي كان يتعرض لها الشاعر تتطلب إتيانه بفعل الأمر الصريح الذي يحتوي دلالات تساعد في الإقناع ، وقد أتى شاعرنا في البيت السابق بالمصدر النائب عن فعل الأمر (سقيًا) أي (اسقوا)، فاستخدم أسلوب الأمر في الدعاء لخلف بن وهب وأهله بالسقي، أي: (سقاك)الله ، وهذا

---

[1] – البيت من الكامل لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه : ص 54 ، والبيت في الحماسة البصرية ، ج1 ، ص156 لعبد الله ولمطرود بن كعب قال صاحب الحماسة : وقال مطرود بن كعب الخزاعي إسلامي ، ويروى لابن الزبعرى والأول أكثر .

[2] – الكتاب : لسيبويه ، ج1 ، ص312 ، وشرح المفصل : لابن يعيش ، ج1 ، ص114

[3] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص 43 ، والبيت في الأغاني ، ج7 ، ص114 والبيت به إقواء بمعنى : اختلاف حركة الروي عنها في البيت الذي قبله والذي يليه .

[4] – المنهاج الواضح للبلاغة : حامد عوني ،ج2 ، ص89

الدعاء مرتبط بمدة بقاء خلف بن وهب فيهم، والذي استعار له صفة الذيَّال الَّذي يمشي مُتبخترًا.

الأغراض البلاغية لأسلوب الأمر في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى –τ–:

1– التَّوسل : ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى لرسول الله –ρ– من الكامل[1]:

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا زَلَلِي، فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ

حيث خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر وهو التوسل والرجاء ؛ مع ملاحظة الفعل الإنجازي لأسلوب الأمر (فاغفر) الذي خرج من الاستعلاء إلى التوسل والرجاء ؛ لأنه نابع من الأدنى إلى الأعلى، يدل على ذلك السياق الداخلي والخارجي للبيت المشتمل على الجملة الاعتراضية،– فدى لك والداي–، والجملة المؤكدة بإنَّ والكاف التي تتضمن معنى الضمير أنت المخاطب، كما جاء متضمنًا لذنب الآمر في قوله: (زللي)، وهنا أيضًا تتجلى علاقة حجاجية يفهما الآمر والمأمور ،ألا وهي ملاءمة بداية البيت لنهايته أو ما يسمى بحسن التأليف ؛ فإنَّه –ρ– لن يغفر إلَّا إذا كان رحيمًا ، وصدق من سماه الرءوف الرحيم ، وبذلك يكون الفعل الكلامي التأثيري(Acte perlocutoir) لأسلوب الأمر الأصلي قد أتى ثمرته الحجاجية المرجوة منه ؛ لأنَّ الرسول –ρ– قد غفر لعبد الله ، وقبل منه الإسلام ، بل ودعا له .

2– المدح : ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى–τ– يمدح العاص بن وائل من الرمل[2]:

ذلك العاصُ بنُ سَلْمَى إنَّهُ رفعُ الذِّكر فقُلْ فيه وزِدْ

جاء فعل الأمر (قُل) لغرض حجاجي هو إظهار العناية بالممدوح ؛ لأنَّ العناية بما بعد فعل الأمر يلزم منها العناية بالممدوح ، فالمستمع قد يسأل سؤالًا ويقول ماذا أقول ؟ فجاء فعل الأمر ليجيب السائل بقوله: قل فيه وزد ، إذًا فعل الأمر أظهر العناية بما بعده، وهذا يدل على أنَّ كل ما سيقوله المخاطب من صفات الخير، والكمال ستنطبق على العاص ابن سلمى .

ومنه أيضًا قوله في مدح بني عبد مناف من الكامل [1] :

[1]– البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص 46، والسيرة النبوية ، ج2 ، ص419 ، ونهج البلاغة ، ج18، ص18 والبداية والنهاية ، ج4 ، ص309 ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج2 ، ص311 ، واسد الغابة ، ج3 ، ص160 وطبقات الشعراء ، ج1 ، ص243

[2]– البيت من الرمل لعبد الله في ديوانه : ص34 ، والمنمق ، ص430

والمُفْضِلونَ إذَا المُحُولُ ترادفَتْ والقائِلونَ هَلُمَّ للأضيافِ

استخدم الشاعر صيغة اسم فعل الأمر (هلُمَّ)، بمعنى: أقبلوا، أو تعالوا ، وهذا يدل على المبالغة في الكرم والسخاء .

3- الزجر والوعيد: ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى- τ- لموهب بن رياح عندما كان يرد على سُهيل بن عمرو من الوافر[2]:

فَأَقْصِرْ يَا بْنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدِّ عَنْ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ

4- الالتماس : ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى من الطويل[3]:

حيِّ الدِّيارَ مَحَا مَعارِفَ رسْمِهَا طُولُ البِلَى وتراوحُ الأحقابِ

فالشاعر هنا يخاطب صاحبه ويطلب منه أنْ يُحيي الديارَ التي عفا عليها الزمن وتعاقبت عليها الأزمان ، والأمر هنا قد خرج إلى معنى الالتماس ،لأنَّ خطاب الند لنده لا يُراد به الإلزام .

5- الشماتة : ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى من الرمل [4]:

أَبْلِغْا حَسَّانَ عَنِّي آيَةً فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلْ

جاء هذا البيت في سياق الأبيات التي يُعرِّض فيها عبد الله بن الزِّبَعْرَى بغريمه حسان بن ثابت- τ- عقب غزوة أحد ، وانتصار المشركين فيها ، وقد خرج فعل الأمر إلى غرض بلاغي ، هو الشماتة والنيل من حسان بن ثابت –τ- والذي كان دائمًا وأبدًا يعارض ويرد على عبد الله بن الزِّبَعْرَى ويعرِّض به في شعره .

6- النصح والإرشاد : ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى- τ- ينصح صاحبه من الكامل[1]:

---

[1]- البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه : ص54، والحماسة البصرية ، ج1 ، ص155 وأمالي المرتضي،ج2 ، ص268 لمطرود بن كعب الخزاعي .

[2]- البيت من الوافر لعبد الله في ديوانه: ص33، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام ، ج2 ، ص325

[3]- البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص29؛ والبيت له روايتان : الرواية الأولى (حتى الديار) والرواية الثانية أثبتها محقق الديوان بقوله : لعلَّها (حي الديار)

[4] - البيت من الرمل لعبد الله في ديوانه: ص41، والسيرة النبوية ،ج2 ، ص136 ، والبداية والنهاية لابن كثير ،ج4، ص55 ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ج2، ص549 ، وشرح نهج البلاغة ، ج14 ، ص279 ، وشرح شواهد المغني للبغدادي ،ج4 ، ص254 ، والأغاني ،ج15 ، ص177 ، ومعجم البلدان،ج2 ، ص57

فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ وَمَحِلَّةٍ خَلْقِ الْمَقَامِ يَبَابِ

وَاذْكُرْ بَلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمْ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ الْأَنْصَابِ

لايخفى على ذى بصرٍ أنَّ الشاعر ينصح رفيقه، ويرشده إلى نسيان أمر الدِّيار التي أصبحت قفرًا بعد أنْ كانت عامرة بالأحبة ، وأن يتوجه بالشكر إلى صناديد مكة الحريصين على رفعتها، وعزها، ورفع رايتها، والدليل على ذلك أنَّهم انطلقوا جميعًا من الكعبة – شرَّفها الله – قاصدين يثرب . فنسيان أمر المحبوبة شيء ليس باليسير الهين على المُخَاطَب أو المستمع ، ولذلك استخدم الشاعر أسلوب الأمر وصيغته الصريحة فيه ليقنعه بترك هذا الأمر، لأنَّ هناك أمرًا أعظم منه هو أمر الجيش الذاهب إلى يثرب، ذلك الجيش المنطلق من عند الكعبة تيمنًا وتبركًا بها ليحالفه النصر .

ثانيًا: أسلوب النداء :

كَثُرَ استعمال العرب أسلوب النداء في كلامهم ؛ لأنَّه أول كل كلام، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "وإنَّما فعلوا هذا بالنداء لكثرته في كلامهم ؛ ولأنَّ أول الكلام أبدًا النداء، إلَّا أنْ تدعه استغناءً بإقبال المُخَاطَب عليك ، فهو أول كل كلام لك به تعطف المخاطب عليك..."[2]

وجاء في اللسان النِّداء والنُّداءُ : الصوتُ ، مثل الدُعاءُ والرُغاءُ، وقد ناداه ، ونادى به وناداه مناداةً، ونداءً،أي : صاح بهِ، والنَّدى : بُعد الصوت ، ورجل ندي : بعيدُ الصوت ، والنِّداءُ : الدعاء بأرفع الصوت ، وفلانًا أندى صوتًا من فلان : أي أرفع صوتًا "[3]

وأصل النداء من النَّدى، أي: الرطوبة ، واستعارة النداء للصوت من حيث ؛ أنَّ منْ تكثر رطوبة فمه حسُنَ كلامهُ ، والنداء : أُطلق على الصوت المجرد، كما في قوله تعالى :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

---

[1] – البيتان من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص29، والسيرة النبوية ، ج2، ص257 والأنصاب : هي الحجارة التي يعلم بها الحرم ، وهي الحجارة التي كانوا يذبحون لها ، وقد حرم الإسلام ذلك ، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]

[2] – الكتاب: لسيبويه ،ج2 ، ص208

[3]– لسان العرب: لابن منظور ، مادة (ندى)

﴾ [البقرة: ١٧١] ، وقد يطلق النِداء على الصوت الذي يفهم منه المعنى ، نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ۝٩ ﴾ [الجمعة: ٩].

وأمَّا النِّداء اصطلاحًا : فقد أطال النُحاةُ النفس في الحديث عنه، وعن أحكامه ؛ وهو عندهم لا يخرج عن كونه تصويت وتنبيه وطلب إقبال ، فقد عرَّفوه بأنَّه : " التصويت بالمنادى ليعطف على المنادي، أي أنَّ النِّداء هو رفع الصوت عاليًا ليتنبه المدعو ، ويقبل عليك بعد أنْ تذكر اسمه أو صفةً من صفاته"[1].

وعرَّفه الجرجاني بأنَّه:"إنشاء نسبة النِّداء بحرف يقوم مقامها ، ليُقبل المخاطب به إلى المتكلم به بقلبه، وليس مقصودًا بذاته ، وإنَّما ينادى ليبدأ بكلام بعده أو ليعلم حضوره أو غيبته أو لنسبة صفة إليه..."[2]وهو (أي النداء) بنية تركيبية قائمة على جملتين : جملة عميقة مضمرة وهي (أنادي أو ناديت أو أدعو زيدًا)، وبنية سطحية أُختزل فيها الفعل ونابت (يا) منابه؛ فهو تركيب اسنادي ، مؤلف من مسند ومسند إليه في بنيته المضمرة"[3]

وأمَّا أحكام النداء فقد جمعها ابن مالك في قوله:[4]

وابن المعرّف المنادى المفردا عهدًاعلى الذي في رفعه قد

وانو انضمام ما بنوا قبل النّدا وليجرى مجرى ذي بناءٍ جدّدا

والمفرد المنكور والمضافا وشبهه انصب عادمًا خلافا

أمَّا علماء البلاغة فيكادون يجمعون على أنَّه : طلب الإقبال بالحرف (يا) وإخوته ، وهذا الإقبال قد يكون حقيقيًا، أو مجازيًا نحو:(يا بني اسمع نصيحة أهل العلم والمعرفة)، ونحو، (يالله كن بنا رحيما)، وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرفٍ منها مناب الفعل (أدعو).[5]

[1]- شرح المفصل لابن يعيش ، ج8 ، ص118

[2] - الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : لعلي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة ، ص120

[3] - الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي : غياث محمد بابو، ص362

[4] – ألفية بن مالك لابن مالك : ج1 ، ص50

[5] - المعجم المفصل في علوم البلاغة : إنعام فوال عكاوي ، ص 633

كما أنّ أحرف النداء أو أدواته ثمان :(الهمزة)، و (أي)، و(يا)، و(أيا) ، و(هيا) ، و (آ)، و (آي) ، و(وا)، والجملة في النِّداء تتكون من الفعل الَّذي ناب عنه حرف النِّداء وفاعله ؛ فإذا قلت: يا صلاح الدين! ، وأردت استخراج المسند إليه ، والمسند من هذه الجملة، فإنَّ المسند هو الفعل (أدعو) الذي ناب عنه حرف النداء (يا)، والمسند إليه الفاعل، وهو (أنا) [1]."

والنداء من أهم الأساليب الحجاجية؛ لأنه يُعد توجيهًا يُحَفِّز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل...، مثلما ورد في الخطاب التالي: "وحدثني رجل من أصحابنا ، قال : شهدتُ رجلاً في طريق مكة معتكفًا على قبر، يردد شيئًا، ودموعه تكف من لحيته ، فدنوت إليه لأسمع ما يقول، فجعلت العبرة تحول بينه وبين الإبانة، فقلت له : يا هذا !، فرفع رأسه إليّ، وكأنَّما هَبَّ من رقدة، فقال : ماتشاء ؟"[2]، إذ استعمله المرسلُ لينبه المرسل إليه الَّذي لا يعرفه ، وكان له ما أراد فقد جعله يرفع رأسه ، إذ كان النِّداء هو أول فعل يمكن أنْ يقوم به المرسل ليتمكن بعد ذلك من معرفة خبر الرجل"[3]

وقد قَسَّم البلاغيون أدوات النداء من حيثُ الاستعمال إلى نوعين[4]**:**

(1) الهمزة ، وأي لنداء القريب

(2) والأدوات الست الأخرى لنداء البعيد .

فمن أمثلة استعمال الهمزة وأي لنداء القريب جريًا على الأصل قولنا :(أمحمدُ افتح النافذة التي بجوارك) ، وقولنا :(أي زينبُ ناوليني كتابك لأقرأ فيه قليلًا)

ومن أمثلة استعمال الأدوات الأخرى لنداء البعيد جريًا على الأصل أيضًا : قول الشاعر"[1]

---

[1] – البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس ص 162

[2] – الكامل في اللغة والأدب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : نعيم زرزور ، وتغاريد بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1409هـ ، 1989م،ج2، ص382

[3] – استراتيجيات الخطاب :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص360

[4] – علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص 115 وما بعدها. وقد زاد النحاة قسماً ثالثاً وهو الندبة واستعملوا له الأداة (وا) يقول ابن مالك :

والهمز للدّاني ووا لمن ندب ... أو يا وغير وا لدى اللبس اجتنب

انظر : ألفية بن مالك ، ص49

أيا ربُ قد أحسنتَ عوداً وبداءةً إليَّ فلمْ ينهضْ بإحسانك الشكرُ

وقد يُنزل البعيد منزلة القريب، وعندئذٍ يُنادى بالهمزة، وأي ، إشارة إلى قربه من القلب، وحضوره في الذهن ، لايغيب عن البال . ومن أمثلة ذلك قول الشاعر[2]:

أسكانَ نعمان الأراكِ تيقنوا بأنَّكم في ربعِ قلبي سُكانُ

وقد ينزلُ القريب منزلة البعيد ؛ فينادى بغير الهمزة، وأي ، إشارة إلى علو مرتبته ، أو انحطاط منزلته، أو غفلته، وشرود ذهنه ، نحو قول الشاعر[3] :

يا من يُرجى للشدائدِ كلها يا مَنْ إليه المُشتَكى والمفزعُ

ونحو قول الفرزدق من الطويل :[4]

أولئك آبائي فجئني بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جريُر المجامعُ

فالنداء في البيت الأول دلَّ على علو منزلة المنادى وعظمته ، وفي البيت الثاني دلَّ على انحطاطه ودنو منزلته .

والمتتبع لأسلوب النداء في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى يجد أمرين :

الأمر الأول : أنَّه لم يرد في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى من أدوات النداء إلَّا الأداة :(يا) – وهذا ليس عيبًا في شعره وبخاصة أنَّنا سنذكر بعد قليل أنَّ القرآن الكريم بالرغم من كثرة النِّداء فيه

---

[1] – البيت من الطويل ، بلا نسبة في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ،ج1 ، ص65 ، والكشكول :ج1 ، ص126 ، والمستطرف في كل فن مستظرف ،ج1،ص268 ، ونسبه بعضهم لمحمود بن حسن الوراق من شعراء العصر العباسي ، ووجدته في ديوانه برواية أخرى تقول :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكر

[2] – البيت من الكامل لإسماعيل بن باجة الشيرازي ، كما في جامع الشواهد لملا محمد باقر ، ص37 ، ونعمان الآراك : موضع في بلاد العرب، والربع : المنزل

[3] – البيت من البسيط للسهيلي في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 1968م ،ج2 ، ص102، والمستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد بن محمد بن منصور الإبشيهي أبو الفتح ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ،1419 هـ،ج1 ،ص73

[4] – البيت من الطويل للفرزدق في ديوانه ، شرح وتعليق : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص360

إلَّا أنَّه لم يرد فيه غيرها من أدوات النداء – وهي أم الباب"[1]، وهي أكثر أدوات النِّداء استعمالًا في اللغة ، وهي أصل النِّداء، وأعم أدواته ... ، فهي تدخل في كل نداء، وقد قال عنها سيبويه : " ألاتراها في النداء والأمر ، كأنَّك تنبه المأمور"[2] .

ولذلك نراها تُستعملُ لنداء القريب، والبعيد، وفي الاستغاثة، والندبة ، ومما يدل على أنّ (يا) هي أكثر الأدوات استعمالًا في اللغة ؛ كثرة ورودها في القرآن الكريم دون سواها فقد ذهب السيوطي إلى أنَّها: " أصل حروف النِّداء (يا) ولهذا كانت أكثر أحرفه استعمالًا ، ولا يُقَدَّرُ عند الحذف سواها ، ولا ينادى اسم الله –Y– واسم المستغاث وأيُّها وأيَّتها إلَّا بها ، وفي شرح الفصول لابن إياد قال النُّحاة : (يا) أم الباب ولها خمسة أوجه من التصرف : أولها : نداء القريب والبعيد بها ، وثانيها : وقوعها في باب الاستغاثة دون غيرها ، وثالثها : وقوعها في باب الندبة ، ورابعها : دخولها على أيّ ، وخامسها: أنّ القرآن المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه غيرها ."[3]

ومن شواهدها في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾ **[الحج:1]**، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ﴾ **[الفجر: ٢٧]**، وقوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ **[المائدة: ١١٦]**

وأمَّا الأمر الثاني : أنه لم يرد في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى–τ– من أقسام المنادى إلَّا قسمان، هما:

---

[1] – الجني الداني في حروف المعاني: الحسن بن القاسم المرادي ، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الآفاق ، بيروت ، ط2 ، 1983 م ، ص 349؛ وانظر: شرح المفصل :ج8 ، ص118 ، وهمع الهوامع : ج1 ، ص179

[2] – الكتاب : ج4 ، ص 224

[3] – الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ، مراجعة د\ فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1984م ، ج2 ، ص124

1-المنادى المضاف : والإضافة يُعرِّفها النُّحاة بأنَّها : نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر أبدًا"[1]، ومن خصائصها أنَّها تجعلُ الاسمين المتضايفين كالشيء الواحد لا ينفك أحدهما من الآخر، ولا يكون لأيٍّ منهما معنى إلَّا مضافًا إلى قرينه "[2].

والمُنادى المضاف يأتي منصوبًا على أصل النِّداء الذي يجب فيه النصب ، والنكرة، والمعرفة في ذلك سواء ، فنقول في المعرفة : يا عبدَ الله أقبل ، ونقول في النكرة : يا عبدَ امرأةٍ تعال ، ويا رجلَ سوءٍ تُب"[3].

ومن شواهده في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى قوله من الخفيف :[4]

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنا بور

2-نداء المعرَّف(بأل)[5]:

اختلف النُّحاةُ في نداء المعرَّف بأل ، فذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز نداء ما فيه الألف واللام، نحو: يا الرجل، ويا الغلام ، وذهب البصريون إلى أنَّه لايجوز"[6] ، واحتج الكوفيون لمذهبهم بما جاء عن العرب في كلامهم بقول الشاعر من الرجز المشطور:[1]

---

[1] – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للصبان : محمد بن علي الصبان تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، المكتبة التوفيقية، مصر ، ج2 ، ص237

[2] – معجم المصطلحات النحوية والصرفية : محمد سمير نجيب اللبدي، ص 137

[3] – همع الهوامع للسيوطي ،ج1 ، ص172

[4] – البيت من الخفيف لعبد الله في ديوانه : ص 36، والسيرة النبوية ،ج2 ، ص419 ،والاستيعاب في معرفة الأصحاب:ج2 ، ص310 ، والسمط ، ج2 ، ص833 ، وأسد الغابة :ج3 ، ص160 ، وحاشية عبد القادر البغدادي على شرح ابن هشام على بانت سعاد :ج1 ، ص49 ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي : ج4 ، ص256 ، والطبري ، ج3، ص64، والبداية والنهاية :ج4 ، ص308 ، ومغازي رسول الله للواقدي : ص33 ، وطبقات الشعراء :ج1 ، ص242 ، والكامل لابن الأثير : ج2 ص250 ، وشرح شواهد المغني للسيوطي : ج2 ، ص551 ، والإصابة في معرفة الصحابة ج2 ، ص308 برواية: (يارسول الله)، والمختار من شعر بشار ، ص184، وإصلاح المنطق ،ص125 ، والجمهرة لابن دريد:ج1، ص277 ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري : ص389 ، ص594 والإتباع لابي الطيب اللغوي : ص23 ، وأمالي القالي: ج2، ص210 ، ومعجم مقاييس اللغة ، ج1 ، ص316 ، والصحاح : (بور)ج2، ص597 ، واللسان : (بور) ج5، ص153 برواية (يارسول الإله)، والتاج : (بور)ج3 ، ص60 ، ونسبه صاحب التاج لعبد الله بن رواحة ، ونسبه الجوهري لعبد الله بن الزبعرى.

[5] – انظر المعرف بأل في الفصل السابق ، ص 97

[6] – الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين :أبو البركات بن الأنباري، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى 2002 م ، 1424 هـ ، ،ج1 ، ص 274

فيا الغلامان اللّذان فرّا .....إيَّاكما أن تكسباني شرًا

وأمَّا البصريون فاحتجوا بأنْ قالوا: إنَّما قلنا إنَّه لا يجوز ذلك لأنَّ الألف واللام تفيد التعريف، و "يا" تفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان؛ ولهذا لا يجوز الجمع بين تعريف النداء، وتعريف العلمية في الاسم المنادى العلم، نحو: "يا زيد"، بل يُعَرَّى عن تعريف العلمية، ويُعَرَّف بالنداء؛ لئلا يُجْمَع بين تعريف النِّداء، وتعريف العلمية، وإذا لمْ يجز الجمع بين تعريف النِّداء، وتعريف العلمية ، فَلأن لا يجوز الجمع بين تعريف النداء، وتعريف الألف واللام، أَوْلَى ...، وإذا لم يجز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية وأحدهُما بعلامة لفظية والآخر ليس بعلامة لفظية فَلأَن لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف الألف واللام وكلاهما بعلامة لفظية كان ذلك من طريق الأولى"[2]

وإذا كان البصريون قد منعوا نداء ما فيه أل ؛ فإنَّهم توصلوا إلى ندائه باستعمال (أي)، أو(هذا) فيقولون :(يا أيُّها الرجل) ، أو (يا هذا الرجل)، ومنه قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، من الكامل[3]:

يا أيُّها الرجلُ المحّولِ رحْلَهُ هلاَّ نزلتَ بآلِ عبد منافِ

ف(يا) أداة نداء، و(أيُّ) المنادى، و(ها) تنبيه ، و(الرجلُ) بدل منه ، أو صفة له و(أي) توصف بشيئين في النداء ، فإمَّا أنْ توصف بالألف واللام، نحو : يا أيُّها الرجل، أو توصف بالإشارة نحو : يا هذا الرجل ، فتكون (ذا) صفة لأي .

الأغراض البلاغية التي خرج إليها النداء في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

علمنا أنّ الغرض الأساسي للنداء هو طلب إقبال المنادى بإحدى أدوات النداء السالفة الذكر، ولكن قد يخرج أسلوب النداء عن هذا الغرض الأساسي إلى أغراضٍ أخرى ، أو معاني

---

[1]- البيتان من الرجز المشطور ، وبلا نسبة ، وقد استشهد بهما ابن يعيش في شرح المفصل ، ص172 ، ورضي الدين الاستراباذي في شرح الكافية ، ج1 ، ص132

[2] - الإنصاف في مسائل الخلاف: لابن الأنباري ، ص 275

[3] - البيت من الكامل لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه: ص54، والبيت في الحماسة البصرية لمطرود بن كعب الخزاعي وعبد الله بن الزبعرى ،ج1 ، ص155، وأمالي المرتضي:ج2 ، ص268 لمطرود بن كعب برواية:(ألانزلت)، ومعجم الشعراء ، ص283 لمطرود أوغيره، ودلائل الإعجاز :ص17دون عزو برواية:(هلا سألت عن آل عبد مناف)

أخرى تُفهم من السياق ، وقد خرج النداء عن معناه الأصلي في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى –τ– إلى أغراضٍ أخرى، منها :

1– التعظيم : نحو قوله لرسول الله –ρ– من الخفيف [1]:

يا رسولَ المليكِ إنَّ لساني راتقٌ ما فتقتُ إذ أنا بُورُ

فقد خرج النداء من معناه الأساسي إلى معنى آخر، هو تعظيم النبي –ρ– ، كما أنَّ الشاعر أضاف الرسول إلى المليك؛ ليزداد التعظيم تعظيمًا، والإجلال إجلالًا، وقوله : المليك : جاءت على وزن فعيل ، وهي صفة مشبهة دالة على الثبوت أو شبهه ، وأصلها (مالك) اسم فاعل التي تدل على معنى طارئ غير ثابت ، ولا شبيه بالثابت "[2]، فصفة المليك هي صفة ليست بطارئة ولا عارضة ولا مؤقتة بزمن محدد، وإنما هي صفة لصيقة بالمولى عزوجل خالق الأكوان . والحجة المستنبطة من اثبات الصفة لله تعالى هي وجوب طاعته ، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه .

وهذا البيت يحوي الكثير من الأبعاد التداولية لأسلوب النداء ؛ منها، معرفة أقدار السامعين، ومنزلتهم، ومراعاة قدرهم عند مخاطبتهم، ومعرفة المقام أو السياق الذي قيل فيه الكلام، فمن أهم مبادىء التداولية أنه "لكل مقام مقال " فعبد الله يعرف قدر النبي– ρ – ، ومنزلته عند ربه، ولذلك ناداه بيا رسول المليك ، فدل على تعظيمه له– ρ – ، وتمكن الإيمان من قلبه–

---

[1]– البيت من الخفيف لعبد الله في ديوانه: ص36، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام ، ج2، ص419 ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب :ج2، ص310 ، والسمط :ج2، ص833، ووأسد الغابة :ج3، ص160 ، وحاشية عبد القادر على شرح ابن هشام على بانت سعاد ،ج1، ص49 ،وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي:ج4، ص256، والطبري :ج3 ، ص64، والبداية والنهاية :ج4، ص308، ومغازي رسول الله للواقدي ، ص33، وطبقات الشعراء:ج1، ص242، والكامل لابن الأثير :ج2، ص250، وشرح شواهد المغني للسيوطي :ج2، ص551، والإصابة:ج2، ص308 ، والمختار من شعر بشار :ص184، وإصلاح المنطق:ص125، والجمهرة لابن دريد:ج1ص277، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري : ص389 ، ومعجم مقاييس اللغة :ج1، ص316 ، و الصحاح (بور)ج2، ص597 ، والمخصص :ج3، ص48 ، وقال صاحب اللسان :وإخاله عبد الله بن رواحة وقال: نسبه الجوهري لعبد الله بن الزبعرى، مادة(بور)ج5، 153 وقد ورد اسم الله المليك في موضعٍ واحد من القرآن الكريم بصيغة فعيل الاسمية علمًا على الذات الإلهية ، نحو قوله تعالى في آخر سورة القمر :﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٥]، والمليك أصلها (مَلِك) وأُشبعت الكسرة فيه، =فصارت (ياء")؛ فقيل : مليك بزنة فعيل من صيغ المبالغة ؛ فهو أكثر مبالغة ، وأقوى في تأكيد الصفة لله . انظر في ذلك : أسماء الله الحسنى دراسة تصريفية:عادل محمود آل سدين مكي ، جامعة الأزهر ، ماجستير ، ص158 .

[2] – النحو الوافي : عباس حسن ، ، ج3، ص242

τ –، وكذلك فإنَّ المقام مقام اعتذار، فوجب عليه تعظيم قدر النبي– ρ – ، ليقبل عذره لاسيما إذا كان النبي– ρ – قد أهدر دمه من قبل .

2–المدح : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى – τ – يمدح النبي – ρ – من الكامل: [1]

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ

فقد خرج النداء إلى المدح ؛ فوجدنا عبد الله بن الزِّبَعْرَى– τ – يصفُ النبي – ρ – بأنه خير الناس وخير من حملت على ظهرها المطايا ، ويصف ناقته – ρ – بأجمل الصفات ؛ فهي تشبه حمار الوحش في شدته، ونشاطه، وسرعته ، وهي بالرغم من سرعتها لينة الحركة لاتُتْعبُ من يركبها ، كما أنَّ قدميها لاتؤثر في الأرض . وفي هذا البيت والذي قبله تظهر أهم مبادئ التداولية ، وقدرة عبد الله على الحجاج؛ فهو يحاول المحافظة على العلاقة بينه وبين رسول الله – ρ – ،أي : بين (المتكلم والمخاطب) ؛ فتارة يناديه بيا رسول المليك، وأخرى يناديه بيا خير من حملت على أوصالها عيرانة، وهذا المبدأ يطلقون عليه التأدب وهو" الذي يفرض على المتحدثين أن يحترم بعضهم بعضًا".[2]

3–التحقير : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى يهجو موهبَ بن رياح، من الوافر[3]:

فَأَقْصِرْ يَا بْنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدِّ عَنْ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ

جاء هذا البيت على خلاف البيتين السابقين ؛ ففي البيتين السابقين وجدنا عبدالله يحاول أن يحافظ على العلاقة بينه وبين رسول الله – ρ – ، أي؛ بينه وبين مخاطبه ، أمَّا في هذا البيت فلا تعنيه تلك العلاقة ، ولذلك يتغاضى عن ذكر موهب بن رياح باسمه فيناديه بهذه

---

[1] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص45 ،والسيرة النبوية :ج2، ص419، ونهج البلاغة :ج18، ص17، برواية: سرح اليدين سعوم، والبداية والنهاية : ج4، ص309 ، والاستيعاب : ج2، ص310، وأسد الغابة :ج3، ص160 ، وطبقات الشعراء : ج1، ص242 برواية: سرح اليدين رسوم ، والعقد الثمين :ج5، ص138 ، وأوصالها : الموصل : المفصل ، وموصل البعير : ما بين العجز والفخذ والعيرانة : ناقة تشبه حمار الوحش ، وغشوم : لاترد عن وجهها.

[2] - التداولية في الدراسات النحوية : لعبد الله جاد الكريم ، ص46

[3] – البيت من الوافر لعبد الله في ديوانه :ص33 ، والسيرة النبوية لابن هشام :ج2، ص325 ، والقين :العبد والجمع قيان ، والقين الحداد الذي يعمل بالحديد ، ومن أمثال العرب : إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح وهو سعد القين ، قال أبو عبيد: يُضربُ للرجل يُعرفُ بالكذب حتى يردُ صدقه، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة(قين)

الصفة المذمومة ليحقِّر من شأنه، ولنتخيل نبرة صوته وتعبيرات وجهه وهو يناديه بهذا النداء .

4- التَّعْرِيضُ : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى يُعرِّضُ بحسان بن ثابت –τ– بعد غزوة أُحد، من الرمل[1]:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلْ

فهو هنا يصفه بغراب البين الذي يُتشاَئم منهُ ؛ والعرب كانوا يتشائمون من الغرابِ، يقول عنترة[2]:

ظَعَنَ الّذين فراقهمْ أتوقعُ وجَرَى بينهمْ الغرابُ الأبقعُ

ويقول مجنون ليلى (قيس بن الملوح)[3]:

ألا يا غرابَ البَينِ إنْ كنتَ هابِطًا بِلادًا لليلى فالتمسْ أنْ تكلمَا

وبلّغ تحياتي إليها وصَبوتي وكُنْ بعدها عن سائرِ النَّاس أعجمَا

5- النصح والإرشاد : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى –τ – من الكامل[4]:

---

[1] – البيت من الرمل لعبد الله في ديوانه : ص 41، والسيرة النبوية ، ج2، ص136 ، والبداية والنهاية :ج4، ص55 ، وشرح الشواهد للسيوطي ،ج2، ص594 ، وشرح نهج البلاغة : ج14 ، ص279 ، وشرح شواهد المغني للبغدادي:ج4، ص254 ، والاغاني : ج15، ص177 ، شرح المفصل لابن يعيش :ج3، ص3، وشرح الشواهد للعيني:ج3، ص418 ، والمؤتلف والمختلف : ص195 وغراب البين هو الأحمر المنقار والرجلين ، وأمَّا الأسود فإنَّه الحاتم الذي يحتم بالفرار.

[2] – البيت من الكامل لعنترة في ديوانه: ص262 ، ولسان العرب : ج13 ، ص63 ، مادة (بين)، وتاج العروس: مادة (بين) وإميل يعقوب : معجم الشواهد ، ج4 ، ص320 قافية العين المضمومة .

[3] – البيتان من الطويل لقيس بن الملوح في ديوانه ص56

[4]– البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص54، ضمن قصيدة يمدح فيها بني عبد مناف ، والحماسة البصرية: ج1، ص155 منسوبًا لمطرود بن كعب ، والبيت في معجم الشعراء :ص283، وأمالي المرتضي:ج، ص268 لمطرود بن كعب =أيضًا برواية :(ألا نزلت)، والبيت في دلائل الإعجاز: ص17 دون عزو برواية : (هلا سألت عن آل عبد مناف) وهذا البيت له قصة تدل على معرفة رسول الله – ρ – بالشعر ، فقد روى الزبير بن بكار قال : مرَّ رسول الله – ρ – ، ومعه أبوبكر –τ – برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي – ρ – يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر ؟ قال :لا يا رسول الله ، ولكنه قال:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسولله – ρ – هكذا كنا نسمعها ، انظر دلائل الإعجاز : لعبد القاهر الجرجاني ، ص21

يا أيُّها الرجلُ المُحوّلُ رحْلهُ هلَّا نزلتَ بآلِ عبدِ منافِ

جاء هذا البيتُ في سياقِ الأبيات التي يمدح فيها عبد الله بن الزِّبَعْرَى بني عبد المطلب وبني عبد مناف . و ينصحُ فيه عبد الله كلَ مسافرٍ أن يحلَّ ضيفًا على هؤلاء القوم ، وكأنَّه ينبه المسافرين ويدلهم على بني عبد مناف ، ومما يدل على ذلك قوله في البيت السادس من القصيدة متمنيًا لمحدثه أن لو نزل على هؤلاء القوم ضيفًا :

هبلتك أمُّك لو نزلتَ برحلهمْ منعوكَ من عُدمٍ ومن إقرافِ

6- التَّمني أو التَّحسر : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى من الكامل[1]:

يا ليتَ زوجَكِ قدْ غدا مُتقلِدًا سيفًا ورمحًا

ودخول حرف النداء (يا) على (ليت) في هذا البيت ؛ أفاد معنى التنبيه عند من لايجيز حذف المنادى قال ابن يعيش : "ويجوز أن يكون (يا) هنا تنبيهًا لا للنداء فلا يكون ثَمَّ مدعوٌ محذوف وما بعدها كلام مبتدأ كأنَّك قلت : بؤس لزيدٍ وويح له"[2]، وقال سيبويه مشيرًا إلى ذلك من قبل : " وأمَّا (يا) فتنبيه ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور. "[3]

ويرى بعض الباحثين أنَّ إفادة (يا) معنى التنبيه ؛ هو المذهب الصحيح ؛ لأنَّها لمْ تدخل على اسم فتناديه حقيقة ، وإنَّما لتنبيه المخاطب على سبيل الاستعطاف "[4]، والشاعر هنا يُخاطب زوجته مُنبهًا إياها بأداة النداء مشيرًا إلى ما في قلبه من الأسى على تخلفه عن الحرب ، ويقول لها : إنَّه كان يتمنى أنْ يخوض تلك الحرب.

ثالثًا : النَّهي :

والنَّهي : المنع ، وفي اللغة : خلاف الأمر : نهاه ينهاه نهيًا، فانتهى، وتناهى : كفَّ، وامتنع، ونفسٌ نهاة : منتهية عن الشيء"[5] وهو نهوٌ عن المنكر أمُّورٌ بالمعروف ...، وانتهى

---

[1] - البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه : ص32، والبيت في الكامل للمبرد :ج1، ص289 ، والمخصص لابن سيدة : ج4، ص136 ، وخزانة الأدب :ج1، ص320 منسوبًا لعبد الله أيضًا ، ويعلق د: يحيى على هذا البيت بقوله: و متقلدًا : الرمحُ لايُتقلد ، وإنما قال ذلك لمجاورته السيف ، أي ومعتقلًا رمحًا.

[2] - شرح المفصل: لابن يعيش ، ج2 ، ص24

[3] - الكتاب : لسيبويه ، ج4، ص 244

[4] - الجملة الطلبية في شعر الشافعي (دراسة تركيبية دلالية) : فهد حسن هجرس ، ص 82 بتصرف

[5] - لسان العرب لابن منظور ، مادة (نهى) ج51 ، ص 4564

الشيء وتناهى نهى تنهية: بلغ نهايته "[1]. وبذلك يكون النَّهي في اللغة متضمناً معنى الكف والامتناع .

ومعناه في الاصطلاح لا يختلف كثيرًا عن معناه في اللغة : فهو طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام "[2]

وأمَّا من حيث الصيغة : فهي صيغة الفعل المضارع المقرون بلا الناهية (لاتفعل) ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١]، والنَّهي إنَّما يكون فيه استعلاء ، فإنْ لمْ يكنْ ، فإنَّه يخرج عن معناه الحقيقي في النَّهي إلى الدعاء، والتضرع ، وتسمى حينئذٍ(لا الناهية) ب(لا الدعائية)، وإذا كان النَّهي صادرًا ممن هو بالرتبة نفسها، سُمي إلتماسًا، وال (لا) هي (لا التي للالتماس)، ومن أمثلة الناهية قوله تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، ومن أمثلة الدعائية، قوله تعالى﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ومن أمثلة الالتماس، قول الزميل لزميله: لا تتهافت على اللئيم ، فتتهم في مروءتك، ولا على الجاهل، فتتهم في فطنتك، ولا تأمن العدو فيسوقك للمهالك، ولا تثق بالحسود فيجرك للعطب"[3]

كما أنَّ هناك ألفاظًا معجمية يستعملها المرسل للنَّهي، وتسمى ألفاظ النَّهي ، وهي: " الألفاظ التي تدل على النَّهي عند إطلاقها ، وتسمى صيغ النَّهي ، وهي مادة : حرم، وحظر، ومنع، ونهى، ومشتقاتها...، ويستوي في ذلك استعمالها بأي صيغة صرفية ؛أي : باستعمال اسم

---

[1] – القاموس المحيط : الفيروز أبادي ، تحقيق : د: يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1، 2008 م 1429 هـ ، مادة نهى

[2] – مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 320 ، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،ج1، ص 667 ؛ وانظر: علم المعاني ، ص 90؛ وانظر : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص15

[3] – النحو الوافي : عباس حسن ، ص408 ، وتكون لا جازمة للمضارع بشرطين :أولهما : عدم وجود فاصل بينها وبين الفعل ، إلا في الضرورة الشعرية وثانيهما : ألا تسبقها إن الشرطية أو إحدى أخواتها من أدوات الشرط ، فإن سبقت أصبحت نافية غير جازمة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الفعل المضارع بعد لا الناهية قد يحذف لدلالة السياق عليه ، وذلك نحو قولنا : اضرب زيدًا إن أساء وإلا فلا، أي:(وإلا فلا تضربه)

المفعول أو المصدر أو غير ذلك"[1] ، مثل : (هذه منطقة محظورة)

(هذه المواد محرم لمسها)

(ننهاك عن الشح بمالك) "

ومن أدوات النَّهي استعمال اللفظ الدال معجميًا على الترك ، بلا مترادفات ، وإنْ كان بصيغة الأمر"[2]، مثل : (دع عنك الهراء)

(كف عن الحديث في ذلك الأمر)

ومن أهم الأغراض البلاغية للنَّهي في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى –τ – النصح والارشاد : نحو قوله من الطويل: [3]

فأبلغْ أبا سفيانَ عَنِّي رسالةً وأبلغْ أسيدًا ذا النَّدى والمكاسبِ

وأبلغْ أبا العاصي ولا تنسَ زمعةً ومُطْعَمَ لاتنسَ لَجَّامَ المُشاغبِ

بأنَّكم في العُسر واليُسرِ خيرُنا إذا كانَ يومٌ مُزمهرُّ الكواكبِ

والفعل (لاتنس) فعل مضارع معتل الآخر دخلت عليه (لا) الناهية فجزمته ، وحذفت حرف العلة (الألف)، يقول ابن عصفور في شرح الجمل :"وإن كان معتل الآخر بالياء أو بالواو أو بالألف فجزمه بحذفها في آخره "[4]ويتجلى البعد التداولي لأسلوب النهي في قول عبد الله السابق من خلال استخدامه لصيغة الأمر الصريحة (لا تنس) وتكرارها ، مما يدل على حرص عبد الله على توصيل قصده للسامع، والتأكيد عليه بعدم النسيان ، فهذه الصيغة لا تحتمل تأويلاً غير معناها الأصلي ، ولذلك فإنَّ السامع لن يتوانى في إيصال الرسالة للممدوحين .

---

[1] - اللسان والميزان التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن ، ص231 ، واستراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص351

[2] - استراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص351، ص352

[3] – الأبيات من الطويل لعبد الله في ديوانه: ص31 ، والمنمق : ص430 ، ، 431وأبو العاصي هو :ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن النبي –ρ– . وزمعة هو : ابن الأسود بن عبد المطلب بن أسد . ومطعم هو : ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف _سبقت الترجمة له –

[4] – شرح جمل الزجاجي : لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق : د: صاحب أبو جناح ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، 1982 م ، ج2 ، ص187

ومنه أيضًا قوله من الطويل[1]:

فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِالدُّهَيْمِ الْمُعَضَّلِ

انظر إلى قوله :(فلا تأمننَّ خالدًا بعد هذه) ، تراه ينصح من يخاطبه من أهل مكة بأنَّ خالدَ بن الوليد قد أصبح وليس له أمانٌ بعد إسلامه، ونقضه الحلف الذي كان بينهم ، وفي هذا البيت دخلت لا الناهية على الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة وذلك لزيادة توكيد الكلام، والتحذير من خالد ابن الوليد، فزيادة المبنى دليل على زيادة المعنى ،"وذلك مؤشر تداولي على أنَّ النهي هنا يعلو النَّهي في الخطاب السابق درجة ، لأنَّ فيه تأكيدًا ، والتأكيد كان نتيجة لمعرفة المرسل بالمرسل إليه، وبعناصر السياق جيدًا ، وفي هذا نجد أنَّ النَّهي طبقات بناءً على السياق التداولي ، وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من الضعف، والقوة ، وكذلك أهمية الأمر المنهي عنه ."[2]

رابعًا : أسلوب الاستفهام :

والاستفهام لغة[3]: مشتق من الفهم ، معناه : العلم والمعرفة بالقلب ، يقال : فهِمتُ الشيء أفهَمهُ- بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع – فِهْما، وفهَمًا، وفهَامة[4] وفهامية[5] ، فأنا فاهم ، وأفهمت فلانًا الكلام وفَهَمْتهُ إياه : جعلته يفهمه ، وتفهمتُ الكلام : فهمته شيئًا بعد شيء ،(وفهم) اسم ابن عمرو ابن قيس بن عيلان ، ويقال لسريع الفهم: فهْم وفهَم[6] وفهِم[7]بسكون الهاء وفتحها وكسرها . واستفهمت فلانًا الكلام : طلبتُ منه أنْ يفهمني إيَّاه فأفهمني وفهمني إيَّاه ، أي أنَّ الاستفعال هنا للطلب[8]، ونظيره الاستخبار : وهو طلب خبر ما

---

[1] – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه : ص44، والسيرة النبوية ،ج2، ص278 والبداية والنهاية :ج4، ص142، والدهيم من أسماء الداهية ، والمعضل : الشديد .

[2] - استراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص352

[3] – أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم : محمد إبراهيم محمد شريف الجامعة الإسلامية ، إسلام أباد ، باكستان كلية اللغة العربية ، دكتوراة ،2006 ، 2007 م ، ص 15

[4] – لسان العرب لابن منظور ، ج39 ،3481 (فهم)

[5] – القاموس المحيط :للفيروزأبادي ، ص1056

[6] –لسان العرب : لابن منظور ، ج12 ،ص459 ،460

[7] – أساس البلاغة : جار الله الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت1982 م ، 1402هـ، ص439

[8] – لسان العرب :لابن منظور ، ج39 ، (فهم)

ليس عند المستخبر ، فهو مثل الاستفهام لفظاً ومعنى ، وإنْ فرَّق بعضهم بينهما بجعل الاستفهام أخص من الاستخبار ؛ لأنَّ المستخبر يجاب بشيء قد يفهمه ، أو لايفهمه ، فإذا سأله ثانية فهو مستفهم ، يقول : أفهمني ما قلته لي"[1].

واصطلاحًا : هو طلب الفهم وطلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنَّه طلب خبر ما ليس عندك ، وهو بمعنى الاستفهام، أي طلب الفهم"[2]. وهو "طلب المتكلم من مخاطبه أنْ يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلًا عنده مما سأله عنه"[3].

البعد التداولي والحجاجي لأسلوب الاستفهام عند عبد القاهر :

كان لشيخ البلاغة السبق في الإشارة إلى البعد التداولي لأسلوب الاستفهام عندما تعرض لمسألة الاستفهام بالهمزة ، وتقديمها في الفعل الماضي والفعل المضارع:

أولاً: في الفعل الماضي ؛ حيث أشار إلى أنَّ هناك اختلافًا في المعنى، وفي الوظيفة التداولية في قولنا:"أفعلت ؟" و" أأنت فعلت ؟" ؛ ففي "أفعلت؟" كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أنْ تعلم وجوده "[4] ومثاله : أنك إذا قلت :

– أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟

– أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟

– أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟

" تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ، لأنَّ السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل، وانتفائه مجّوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن "[5]، وإذا قلت :"أأنت فعلت ؟" فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه "[6] ، ومثاله : قوله تَعَالَىٰ:﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له –عليه السلام– وهم يريدون أن يقر لهم بأنَّ كسر الأصنام قد كان ، ولكن أنْ يقر بأنه منه كان وكيف ؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم :" أأنت فعلت هذا ؟ وقال هو

---

[1] – الصاحبي في فقه اللغة: لابن فارس ، ص292

[2] – شرح المفصل لابن يعيش ، ج8 ، ص 150 ، و معجم المصطلحات البلاغية ،ج1 ، ص181

[3] – الأشباه والنظائر في النحو: للسيوطي ، ص 43

[4] - دلائل الإعجاز: لعبد القاهر ، ص111

[5] – دلائل الإعجاز: لعبد القاهر ، ص111

[6] – دلائل الإعجاز: لعبد القاهر ، ص111،

عليه السلام : بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل ...،واعلم أنَّ الهمزة فيما ذكرنا تقريرٌ بفعلٍ قد كان، وإنكارٌ له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه"[1] وبذلك نرى أنَّ عبد القاهر قد أشار إلى البعد التداولي في الاستفهام بالهمزة عندما تقدم على الفعل أو الاسم ، وبذلك يخرج الاستفهام عند عبد القاهر ليؤدي بعدًا تداوليًا كالتقرير، والتأكيد، والإنكار، والتوبيخ.

ثانيًا : في الفعل المضارع : كما فرَّق عبد القاهر بين تقديم الفعل، وتقديم الاسم في سياق الاستفهام مع الفعل الماضي، فرق أيضاً بين تقديم الاسم، وتقديم الفعل في سياق الاستفهام مع الفعل المضارع ؛ ولخص مراده فقال :"إذا قلت أتفعل ؟ كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله ، وكنت كمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أنَّ الفعل كائن "نحو قول الشاعر[2] :

أيقْتُلُني والمُشْرفيِّ مُضاجعي ومسنونةٌ زُرقٌ كأنْيابِ أغْوالِ ؟

فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل ، وإنكار أنْ يقدر على ذلك ويستطيعه "[3]، وإذا قلت :" أأنت تفعل ؟" كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل ، وكان أمر الفعل في وجوده ظاهرًا ، وبحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائن ، وإنْ أردت بتفعل المستقبل ، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعم أنه لا يكون ، أو أنه لا ينبغي أن يكون " نحو قولك لرجل يركب الخطر :" أتخرج في هذا الوقت ؟ " أتذهب في غير الطريق ؟ ، أتغرر بنفسك ؟ ، وقولك للرجل يُضيع الحق : " أتنسى قديم إحسان فلان؟ ، أتترك صحبته وتتغير عن حالك لأنْ تَغيَّرَ الزمانُ ؟"[4]

ثم يفسر الوظيفة التداولية للاستفهام الإنكاري بقوله :" واعلم أنَّا وإنْ كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإنَّ الَّذي هو محض المعنى : أنَّه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه،

---

[1] – دلائل الإعجاز: لعبد القاهر ، ص113، 114

[2] – البيت من الطويل وهو لامرئ القيس في ديوانه : ضبط وتصحيح : الأستاذ : مصطفى عبد الشافي بشرح : حسن السندوبي ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، =2004 م ، 1425 هـ ، ص125، والمشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، ومسنونة زرق : محددة بالسَّنْ، وأغوال : همرجة (التباس واختلاط) من همرجة الجن ، وإنما أراد التهويل ، قال المبرد : لم يخبر صادق أنه رأى الغول .

[3] – دلائل الإعجاز : لعبد القاهر ، ص116

[4] – دلائل الإعجاز : لعبد القاهر ، ص116 ، 117

فيخجل ، ويرتدع ويعيى بالجواب، إمَّا لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل له : فافعل، فيفضحه ذلك، وإمَّا لأنَّه هَمَّ بأنْ يفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا روجع فيه تنبه، وعرف الخطأ، وإمَّا لأنه جَوَّزَ وجود أمر لا يوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه، وقيل له : " فأرناه في موضع وفي حال، وأقمْ شاهدًا على أنَّه كان في وقت ، ولو كان يكون للإنكار، وكان المعنى فيه من بدء الأمر، لكان ينبغي أنْ لا يجيء فيما لا يقول عاقل إنَّه يكون حتى ينكر عليه، كقولهم :" أتصعد إلى السماء ؟ ، أتستطيع أن تنقل الجبال ؟"[1]، وقد ظهر من تحليل عبد القاهر السابق إشارته إلى الوظيفة التداولية، وآثارها في أسلوب الاستفهام، لا سيما مع الهمزة، وتقديمها في سياق الاستفهام الحرفي ؛ ومنها :

– ادعاء السامع على فعل لا يقدر عليه، كما في قولك :أأنت تقول الشعر ؟.

– رغبة السامع في فعل شيء لا يُستصوب فعله ، كما في قولك :أأنت تفتري على الناس؟.

– تجويز السامع أمرًا لا يوجد مثله ، كما في قولك : أأنت تصعد إلى السماء ؟. وكل هذه الآثار التداولية تأتي لإنكار فعل الفاعل ورده عليه "[2].

وقد بنى (ميشيل ماير) نظريته في المساءلة على البعد الحجاجي لأسلوب الاستفهام ؛ فيقول بأنَّ طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج ، ذلك أنَّ السؤال والجواب يولدان النقاش والتفاوض بين المتحاورين والذي بدوره يمثل الحجاج . ولأجل هذا يعطي ميار أهمية قصوى لنظريته التساؤلية لما لها من آثار حجاجية ، لأنه بالنسبة إليه كل كلامنا قائم على التساؤل ، الذي ينتهي في الأخير بعملية الاستنتاج، يقول أحد الباحثين :" إنَّ الحجاج متعلق لدى ميار بنظرية المساءلة، وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف ، نحمل الغير على اتخاذه إذاء مشكل مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج بالزوج (سؤال وجواب)"[3].

وأدوات الاستفهام في اللُّغة ثلاث عشرة أداة ،على ضربين :

الأول : الحروف : وعددها ثلاثة : وهي:(الهمزة ، وهل، وأم)

---

[1] – دلائل الإعجاز : لعبد القاهر ، ص 119 ، 120 0

[2] – عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : عبد السلام عشيري ، إفريقيا الشرق ، المغرب،2006 ، ص136

[3] – البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : محمد علي القارصي ، إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس، ص394

الثاني : الأسماء[1] : وعددها عشرة ، وهي :(من، وما ، وماذا، وأي ، وكم، وكيف، ومتى ، وأيان، وأين، وأنَّى)، وهذه الأدوات لها الصدارة في الكلام ماعدا: (ماذا) فإنَّها لاتجب لها الصدارة كما يرى الكوفيون ، فيجوز أنْ يعمل فيها ماقبلها من العوامل[2].

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى لم يرد فيه من أدوات الاستفهام سوى : (الهمزة، وهل، ومن، وما، وماذا)

أ- الهمزة : فقد أجمع علماء العربية على أنَّ الهمزة لها الصدارة في الكلام ، وهي الأصل في أدوات الاستفهام ؛ فهي الأداة الوحيدة التي تأتي قبل حروف العطف، (الواو ، والفاء ، وثُمَّ) لغلبتها وقوتها وعموم تصرفها[3]. والأصل فيها أنْ لايليها إلَّا الفعل ، إلَّا أنَّهم توسعوا فيها فأجازوا مجيء الاسم بعدها لأصالتها في باب الاستفهام[4]، كما أنَّ الهمزة تمتاز عن غيرها من أدوات الاستفهام بأمور عديدة في علمي القراءات[5]، والبلاغة[6]، ويستفهم بها عن التصور نحو:(أزيد عندك أم عمرو ؟) ، والتصديق نحو (أزيد قائم؟) ، أي: عن المفرد ، و الحكم .

ومن شواهدها في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى، قوله من الطويل[7] :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَثَّاعِثِ بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثِ

---

[1] - قسَّم النُّحاةُ والباحثون هذه الأسماء إلى ثلاثة أقسام : الأول : ما تكون اسماً غير ظرف وهي من وما وماذا وكم وكيف والثاني ما تكون اسماً ظرفاً وهي : متى وأيان وأين وأنى ، والثالث : ما تكون ظرفاً وغير ظرف وهي :أي بحسب ما تضاف إليه ؛ فإن كان المضاف إليه ظرفاً كانت ظرفاً، وإلا فلا، نحو: أي يوم تسافر ؟ وأي طالب حضر ؟ فأي يوم =ظرف وأي طالب مبتدأ ؟ انظر : اللمع في العربية : لابن جني ، تحقيق : حامد المؤمن ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط2 ، 1985م ، 1405 هـ، ص52 وانظر: أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، ص16

[2] – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك للصبان ، ج1 ، ص 159

[3] - شرح المفصل: لابن يعيش ،ج8 ،ص150 ،151 ، ومغني اللبيب ، ج1 ، ص14- 16

[4] – الكتاب : لسيبويه ، ج 1 ص99

[5] – معاني الحروف : علي بن عيسى الرماني ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط2 ،1986 م ، 1407 هـ، ص35

[6] – البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس ص 170 –179

[7] – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه: ص31، والسيرة النبوية لابن هشام :ج1، ص593 ، من قصيدة يرد فيها على قصيدة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –في غزوة عبيدة بن الحارث والتي مطلعها :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت وأمر في العشيرة حادث

والعثاعث:أكداث الرمل التي لاتنبت شيئًا

وتظهر هنا الوظيفة التداولية للاستفهام ، وهي التعريض بسيدنا أبي بكر الصديق-τ - فالاستفهام لم يأت للشك في الفعل وإنَّما جاء ليثبته . ونلاحظ أنَّ عبد الله ينطلق في قصيدته من نفس النقطة التي انطلق منها أبوبكر-τ - ، ومن نفس الوزن والقافية ، مما يدل على قدرته على تطويع اللُّغة لأغراضه الشعرية ، ومقدرته على هدم الحجج التي أتى بها أبوبكر-τ - في قصيدته، وإثباته لحجج أخرى يعتقدها هو مما يدل على مقدرة عبد الله على مجاراة غيره من الشعراء .

2- هل : من أدوات الاستفهام التي لا يأتي بعدها إلَّا الفعل يقول سيبويه :" اعلم أنه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام، نحو: هل، وكيف، ومن اسم وفعل كان الفعل بأن يلي حرف الاستفهام أولى ، لأنَّها عندهم في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل "[1] وهي للتصديق فحسب ، ولهذا يمتنع أن تأتي بعدها أم[2].والأرجح في استعمال هل أن توصل بفعلٍ لفظًا وتقديرًا ، ولا تأتي بعدها جملة اسمية إلا لغرض بلاغي ، كجعل ما سيحصل كأنَّه حاصل بالفعل[3] ، ومنه قوله تعالى﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّشۡكِرُونَ ٨٠ ﴾[4] [الأنبياء: ٨٠]، ولم تأتِ في شعر عبد الله إلَّا مرة واحدة في قوله من الطويل[5]:

فَذَرْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ

3- مَنْ :أداة استفهام يطلب بها تعيين أحد العقلاء[6]، يقول المبرد في المقتضب : لا تقول في في جواب من عندك ؟ فرس ولا متاع إنَّما تقول : زيد أو هند، قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ ﴾ [الملك: ١٦]، فَأَمَّا

---

[1] – الكتاب : لسيبويه ج3 ، ص115 ، و شرح المفصل : ج1 ،ص81

[2] – البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس ص180

[3] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي لعبد السلام هارون ، ص20

أدل على طلب شكر العباد من: "أفأنتم شاكرون فهل تشكرون، فهل أنتم تشكرون لأن الجملة وإن كانت اسمية تفيد الثبوت لكن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها أدل على كمال العناية بحصول ما سيتجدد. إذ هي داخلة على الفعل تقديرا؛ لأن أنتم فاعل فعل محذوف يفسره المذكور .انظر : علوم البلاغة ، ج1 ، ص66

[5] – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه: ص38 ، والسيرة النبوية لابن هشام : ج2، ص142 وشرح نهج البلاغة : ج14 ، ص277برواية (فدع ذا)

[6] – علوم البلاغة: للمراغي ، ص67

مَا فَتكون لذوات غير الْآدَمِيّين، ولنعوت الْآدَمِيّين إِذا قَالَ: مَا عنْدك ؟ قلت: فرس، أَو بعير، أَو مَتَاع، أَو نَحْو ذَلِك ، وَلَا يكون جَوَابه: زيد وَلَا عَمْرو"[1]

ولم ترد في شعر عبد الله إلَّا مرة واحدة ، نحو قوله من الوافر[2] :

فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِي؟

4- ما : ويستفهم بها عن غير العاقل ، نحو قوله تعالى :﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه: ١٧ – ١٨]، ويستفهم بها عن صفات ما يعقل، نحو : ما هذا ؟ وما هشام ؟ وجوابه: هو فقيه مثلاً[3]، ويجوز أن يستفهم بها عمَّا يعقل ؛ إذا أقيمت الصفة مقام الموصوف ، نحو: ما عندك ؟ جوابه: خالد وذلك على إقامة (ما) وهي للاستخبار عن الأوصاف مقام (من) في القرآن الكريم وكلام العرب إقامة (ما) مقام (من) في الأخبار قال تعالى :﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الشمس: ٥]، وقالت العرب : (سبحان ما سبح الرعد بحمده ، وسبحان ما سخركن لنا. "[4]

وقد وردت هذه الأداة في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى في قوله من الكامل[5] :

سَائِلْ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا

5- ماذا : وهي عند النحاة اسم استفهام مركب من كلمتين هما (ما) و(ذا) كل منهما صارت جزءًا (لماذا) ولهذا لا تُحذف ألف (ما) إذا جُرت ماذا، وقد جاء عن العرب : (عمَّاذا تسأل)[6])[6] ويستفهم بها عن غير العاقل ، نحو قوله تعالى :﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ

---

[1] - المقتضب : المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ،ج2 ، ص296

[2] – البيت من الوافر لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه: ص33، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام :ج2، ص325، ولايناوي :لايعادي ، وترك الشاعر همزة (يناوىء) لضرورة الشعر.

[3] – المقتضب: للمبرد :ج1، ص565

[4] – المقتضب: للمبرد ،ج1، ص 565

[5] – البيت من الكامل لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه : ص50، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام :ج1، ص57، برواية (تنكبوا)، والبداية والنهاية لابن كثير :ج2، ص175، والبيت في البدء والتاريخ للمقدسي ، ج3، ص188 برواية (فنكبوا)

[6] – الكتاب : لسيبويه ج 2 ، ص417

فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴿٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩]

وقد وردت في شعر عبد الله، ومنها قوله من الكامل[1]:

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَمَاذَا حَوْلَهُ مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ

الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

قد يخرج أسلوب الاستفهام عن معناه الأصلي الذي وضع له، وهو (طلب العلم بشيء مجهول) في الحقيقة ، فيستفهم به عن شيء معلوم للمتكلم أو السامع لأغراض بلاغية، أو تداولية، قد تفهم من السياق. ، وقد اعتبرت إحدى الباحثات في التداولية الاستفهام (الفعل الكلامي الأصلي)، وما تولد عنه من أفعال في مثل : التمني، والعرض، والوعيد، والزجر، والاستبطاء أفعالاً متضمنة في القول ناتجة عن مقامات معينة، كما لاحظت طريقة تحليل السكاكي لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى الأغراض الفرعية في مرحلتين :

أولهما :أن يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط الإجراء على الأصل أو ما أطلقنا عليه الشروط المعدة الخاصة بالاستفهام فيمتنع إجراء المعنى الأصلي .

ثانيهما : أنْ يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي وامتناع إجراءه معنى آخر، وقد يكون من المعاني، أو الأفعال الكلامية الخمسة الأصلية، ويمكننا تعميم هذا التحليل على كل الأفعال الكلامية الأصلية الأخرى ."[2]، وبناءً على ما سبق نستطيع القول بأنَّ كلَّ الأساليب البلاغية ما هي إلاَّ أساليب تداولية في المقام الأول .

ومن الأغراض البلاغية للاستفهام أو الأفعال الكلامية التي يخرج إليها :

---

[1] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص 46 ، وأنساب الأشراف :ج1، ص308 برواية :(ماذا ببدر ثم ماذا حوله)، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام :ج2، ص15 من مجموعة أبيات يرثي فيها قتلى بدر من المشركين ، قال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني نوفل بن عبد مناف ، ويقال: حليف بني عبد الدار ، وقد أثبت د: يحيى الجبوري نسبة البيت لابن الزبعرى بقوله :إن القصيدة لابن الزبعرى ؛لأنه يرثي فيها قتلى قومه بني سهم ، وأجابه حسان بن ثابت الأنصاري بأبيات أولها :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تعل غروبها سجام

[2] – البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي : أم الخير سلفاوي ، ص156

1-التنبيه على الخطأ وضلال الطريق : نحو قوله تعالى :﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٦١]

ومنه في شعر عبد الله من الطويل[1] :

أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثَّلِ

احتوى هذا البيت على مجموعة من الإشارات الحجاجية التداولية نلحظها من خلال التقديم والتأخير في التركيب الاستفهامي للبيت ، كصدارة حرف الاستفهام في الشطر الأول، وما في الشطر الثاني ، وكذلك التكرار في كلمة (بيت) ، والفعل تبتغي المبني للمعلوم مرة، وللمجهول مرة أخرى ، والاستفهام الإنكاري في الشطر الأول والثاني ، كما أنَّ أسلوب الاستفهام يؤدي وظيفتين حجاجيتين (وظيفة الادعاء، ووظيفة الاعتراض)، الادعاء يكمن في جعل دين الآباء والأجداد أفضل من الدين الجديد ، والاعتراض يكمن في دخولهما في الدين الجديد ، فالجانب الحجاجي هنا جاء للمنع والإقناع السلبي ، وواضح من هذا البيت أن عبد الله بن الزِّبَعْرَى قد استطاع أن يوظف الاستفهام في الأسلوب الحجاجي محاولاً أن يثني خالد بن الوليد ، وصاحبه عثمان بن طلحة عن الإسلام ؛ فقد استخدم وظيفتين من وظائف الحجاج الوظيفة الأولى الادعاء: فأظهر الاختلاف بين الإسلام (الدين الجديد)، ودين الآباء، ونعت الإسلام بالبيت المؤثل؛ ليستميل صاحبيه، والوظيفة الثانية:الاعتراض : وهي حالة الخصام بينه وبينهما، ومحاولة تحذير القوم منهما، فقال[2] :

فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِالدُّهَيْمِ الْمُعَضَّلِ

وبذلك نلاحظ أنَّ الإستفهام قد أسهم في إثراء العملية الحجاجية بين المتكلم والسامع في هذا البيت؛ فولّد أساليب أخرى نحو أسلوب النهي في البيت السابق ، لأنَّ النقاش وصل إلى حدَّته بين الشاعر ومخاطبه ، فانتهى إلى النهي ، وهذا يدعم رأي ميشال ماير السابق : بأنَّ طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج .

2- التقرير : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى مادحًا لبني أسد بن عبد العزى من الوافر[3] :

---

[1] -البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه : ص44، والبيت في السيرة النبوية ،ج2، ص278 ، والبداية والنهاية،ج4، ص142 ، والمنمق ، ص44،حيث جاء الشطر الثاني برواية (فباب الذي تبغي من الأمر مقفل)

[2] - البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه : ص44، والبيت في السيرة النبوية ،ج2، ص278 ، والبداية والنهاية ،ج4، ص142 ، والمنمق ، ص44

[3] – البيت من الوافر لعبد الله في كتاب :أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه لمحمد بن اسحاق الفاكهي : المجلد الثالث ص308 ، وعبد الله سليمان الجربوع : ملحوظات على ديوان عبد الله بن الزبعرى ،ص 132،

ألستُمْ خيرَ مَنْ ركبَ المطايا ومَنْ وافى المُحَصَّب والجمَارا

فالسياق سياق مدح ، وقد راعى فيه الشاعر أحوال المستمعين ؛ وفُهم غرضه من خلال أثر كلامه فيهم؛ فبنو أسد يعلمون مُسبقًا تلك الصفات ، ولا ينكرها عليهم أحد ، حتى الشاعر لا ينكرها عليهم، ولكنه بسؤاله يقررها ، ومن البديهي أن تنشرح صدور بني أسد بالفرحة عندما يسمعون هذا القول من عبد الله بن الزِّبَعْرَى ؛ فهذا ما يسمى بقرينة الحال، أي : حال المُخاطب عند سماع المدح أو الذم، كما أنَّ هذا الاستفهام التقريري أبلغ في إثبات الصفة في المدح أو الذم ؛ فالإجابة عليه ستكون(بلى)، نحن خير من ركب المطايا. وهذا الاستفهام التقريري يدل على التضامن، والقرب بين طرفي الخطاب (الشاعر – وبني أسد بن عبد العزى)، وهذا البيت لا يقل عندي عن قول جرير في مدح عبد الملك من الوافر[1]:

ألستُم خيرَ مَنْ ركبَ المَطايا وأنْدَى العالمينَ بطونَ راح

فقد ظهر الفرح على وجه عبد الملك حينما سمع هذا الكلام ، وطلب من جرير أن يعيد الكلام، وروى الجاحظ أنّ عبد الملك حين سمع البيت " استوى جالسًا وكان متكئا. "[2]

وقد علق أحد الباحثين على قول جرير السابق بقوله :" ولو أنَّ جريرًا قال في مدحه: وأنتم خير من ركب المطايا" لكان قوله: (خبرًا) يحتمل الصدق والكذب، ولكنَّه إذ وضعه في صورة الاستفهام لم يجعله خبرًا يشك فيه، بل جعله حقيقة، لا يجهلها أحد، ولا ينكرها إذا سُئل عنها."[3]

والمحصَّبْ : موضع رمي الجمار بمنى ، وقيل : هو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح ، بين مكة ومنى ، يُنام فيه ساعة من الليل ، ثم يُخرج إلى مكة ، ويقال لموضع الجمار أيضًا : حصاب :انظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة (حصب) ج10 ، ص893

[1] – البيت من الوافر لجرير في شرح ديوانه : ص 98، وشرح المفصل :ج8 ، ص123 ، والجني الداني : ص32 ، وشرح السيوطي :ج1، ص42 ، وشرح البغدادي ، ج1، ص47 ، وطبقات ابن سلام :ج1 ، ص379 ، ومعاني الحروف للرماني : ص33 ، والخصائص : ج2، ص463 ، ومعاني القرآن للأخفش ، ج1، ص56 ، ومغني اللبيب لابن هشام ، ج1، ص98 قال ابن هشام :قيل أراد أنتم ، وهذا أمدح بيت قالته العرب ، ولما أنشد هذا البيت لعبد الملك قال : من أراد أن يمدح فبمثل هذا البيت أو ليسكت . والمطايا: جمع مطية ، وهي الدابة ، والراح : الأكف ونسب السخاء إلى بطونها لأنَّ العطاء أكثر ما يكون بها .

[2] - التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ، تحقيق: أحمد زكي باشا ، القاهرة ، 1914 م ، ص131

[3] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي، هامش ص85

3- الرثاء أو إظهار الحزن : نحو قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى يبكي قتلى بدر من المشركين من الكامل[1]:

مَاذَا عَلَى بدرٍ؟ وماذا حولهُ؟ مِنْ فِتيةٍ بيضِ الوجوهِ كِرامِ

قد يسأل سائل فيقول : لماذا كرر عبد الله أسلوب الإستفهام في هذا البيت ؟ فأجيب – مجتهدًا– بأنَّ المقام مقام رثاء ، وشاعرنا في هذا البيت يبكي قتلى بدر من قومه بني سهم، ويذكر أسماءهم وصفاتهم في الأبيات التالية لهذا البيت . وقد أحسن في توظيف الاستفهام في الرثاء والبكاء على القتلى من قومه، فهو لا يسأل عن أسمائهم بدليل أنَّه ذكرهم بأسمائهم في الأبيات التالية لهذا البيت، وإنَّما يريد أنْ يشعرنا بالفجيعة التي أصابته، وأصابت قريشًا كلها بفقدهم . والغاية الحجاجية من الاستفهام وتكراره في هذا البيت ، أن يجعل قريشًا تتعاطف معه ، وتبكي القتلى ، بل لا يريد أن يقف الأمر عند ذلك، وإنَّما يريد أن تعلم قريش أنَّ بني سهم قد ضَحوا بفلذات أكبادهم من أجلها ، فترتفع مكانتهم في قريش أكثر من خلال ، ذكر القتلى ، وتداول الحديث بينهم ، وبذلك نستطيع القول بأنَّ الرثاء كان غرضًا ظاهرًا ، والفخر غرضًا ضمنيًا . ويشبهه أيضًا ما نُسب إليه من مجزوء الكامل[2]:

ماذا ببدرٍ فالعقنقلِ من مرازبةٍ جحاجحِ

وإنْ كنا لا نجزم بأنَّه يخص قومه بالاستفهام في هذا البيت ؛ لأنَّ البيت جاء مفردًا، وإنَّما نستطيع القول بأنه يخصُ قريشًا كلها ؛ فهذا واجب عليه ؛ لأنَّه شاعرها الأول ، ونلاحظ أنَّ شاعرنا نكَّر مرازبة جحاجح كما فعل في البيت السابق في قوله:(فتية بيض الوجوه)؛ ليثبت الشجاعة والكرم لجميع من سكنوا بدر، أو العقنقل من قريش .

4-التهويل والتعظيم : نحو قوله من الطويل [3]:

فَذَرْ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكٍ أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ

---

[1] – البيت من الكامل لعبد الله في ديوانه: ص 46 ، والبيت سبق تخريجه في ص159 من الرسالة

[2] – البيت من مجزوء الكامل لأمية ابن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر من المشركن منسوبًا لعبد الله بن الزبعرى ، في كتاب : معجم ما استعجم : البكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، مصر 1945م ،ج2 ص951(العقنقل) والعقنقل : **كثيب رمل ببدر**، والجحجح : السيدالسمح ، وقيل: الكريم ، ولا توصف به المرأة ، والمرازبة : مفردها مرزُبان بضم الزاي ، وهو الفارس الشجاع المقدم على الناس دون الملك ، وهو مُعرب عن الفارسية : لسان العرب مادتي (جحجح ورزب).

[3] – – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه: ص38 ، والسيرة النبوية لابن هشام : ج2، ص142 وشرح نهج البلاغة : ج14 ، ص277برواية (فدع ذا) وأم مالك : المرأة التي يقف على أطلالها أو محبوبته

فالشاعر هنا يهوّل ويعظِّم من أمر الجيش الجرار لدرجة أنَّه سأل صاحبه سؤالًا فقال : هل وصلت أخبار الجيش العظيم الذي ذهب إلى يثرب أم مالك – محبوبته التي فقد الأمل في رجوعها أو العثور عليها –؟ وهل سَمِعَتْ بخبر الجيش الذي أعدته قريش لغزو المدينة أم لا ؟، بالرغم من أنَّه وصف الحديث بأنَّه يشيع وينتشر في كل مكان . والمتأمل في هذا الاستفهام يرى أنه قد تكون أم مالك – محبوبته– غير راضية عنه بسبب هزيمته في بدر، وهو يريد أن يسترضيها بعد انتصاره في أحد وأخذه بالثأر من محمدٍ وصحبه، فقد كانت نساء قريش تهجرن رجالهن بعد هزيمتهم في غزوة بدر .

5– التحقير والتوبيخ : نحو قوله من الوافر[1] :

فإنَّ العبد مثلك لا يناوي سهيلًا ضل سعيك من تعادي ؟

خرج الاستفهام إلى غرضٍ آخر يستدعيه المقام ؛ وهو استشعار المُخَاطب (موهب بن رياح) باستحالة ارتقائه بمكانته ونسبه إلى مرتبة الممدوح (سهيل بن عمرو)، فالاستفهام يَحملُ في طياته معنى تعظيم سهيل بن عمرو ، وتحقير(موهب بن رياح)، فعبد الله قد بالغ في تحقير موهب بن رياح لدرجة أنه يستبعد عليه أن يكون ندًا لسهيل بن عمرو.

ومن نافلة القول أنْ ينبه الباحث على أنَّ للسياق دورًا كبيرًا وأثرًا فعالًا في تحديد دلالة الاستفهام وتوضيحها ، وقد تنقلب الدلالة من معنى إلى ضده ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِى ٱلۡعُمۡىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الزخرف:٤٠]، فظاهر الاستفهام أنْ ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد، فيكون ذلك للإنكار، وإنَّما المعنى فيه التمثيل والتشبيه ، وأنْ يُنزل الذي يظن بهم أنَّهم يسمعون ؛ أو أنَّه لا يستطيع إسماعهم منزلة مَنْ يرى أنَّه يسمع الصم ويهدي العمي ، ثم المعنى في تقديم الاسم ، وأنْ لم يقل (أتُسمعُ الُصمَّ) ، هو أنْ يُقال للنبي ـρ– أأنت خصيصًا قد أوتيت أنْ تسمع الصم ؟ وأنْ يجعل في ظنه أنَّه يستطيع إسماعهم بمثابة مَنْ يظن أنَّه قد أوتي قدرة على إسماع الصم "[2]

خامسًا : أسلوب التَّمني :

[1] – البيت من الوافر لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه: ص33، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام :ج2، ص325، ولايناوي :لايعادي ، وترك الشاعر همزة (يناوىء) لضرورة الشعر.

[2] – دلائل الإعجاز لعبد القاهر ، ص94

جاء في لسان العرب أنَّ التَّمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون ، والتَّمني: السؤال للرب في الحوائج ، وفي الحديث :إذا تمنَّى أحدكم ، فليستكثر ، فإنَّما يسأل ربه ، والتمني : تشَهي حصول الأمر المرغوب فيه ، تقول : تمنيتُ الشيء ومنيتُ غيري تمنيةً ، وتمنى الشيء : أراده"[1] .

واصطلاحًا: يعرِّفه ابن يعيش بأنه: "طلب أمر موهوم الحصول، وربما كان مستحيل الحصول"[2]، نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة:٢٧]، وقوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم: ٢٣]، فمريم –عليها السلام – تطلب شيئًا مستحيلًا ، والواقع بخلاف ذلك .

والتمني كما يعرفه القزويني هو" طلب حصول شيء على سبيل المحبة"[3] وهو "طلب حصول أمر محبوب مستحيل الوقوع أو بعيده ، أو امتناع أمر مكروه كذلك. "[4]

أمَّا صاحب كتاب (البلاغة فنونها وأفنانها) فقد فرَّق بينه وبين الترجي بقوله :"ما استقر عند بعض الناس من أنَّ التمني طلب المستحيل ، والترجي طلب الممكن؛ خال من الدقة ؛ لأنَّ التمني قد يكون لغير المستحيل ...، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنَّ الترجي ليس طلبًا ، وإنَّما هو ترقب حصول الشيء ، لذلك لم يعدوه من الإنشاء الطلبي .[5]

التمني إذًا طلب الشيء المحبوب ، وقد يكون ممكنًا ، وقد يكون مستحيلًا ، فالنفس كثيرًا ما تطلب المستحيل ، فإذا كان الشيء المتمنى ممكنًا ، فيجب أن لايكون مما تتوقعه نفسك ؛ لأنك إذا توقعته كان ترجيًا ، فإذا قلت : ليت لي دارًا ، فينبغي أن لا تكون متوقعًا لما تتمناه؛ لقلة ذات اليد ، ولكثرة التكاليف، وغيرهما من الأسباب ، وهذا أمر ممكن غير مستحيل لكن صعوبة تحققه تجعلك غير متوقع له ، أمَّا إذا كانت الأسباب مهيأة لك ، وكنت تتوقع الحصول على تكاليف هذه الدار ، فإنك تستعمل (لعل) فتقول : لعل لي دارًا "[6]

---

[1] – لسان العرب :لابن منظور ، ج48 ، ص4283 ، مادة (منى)، والحديث أخرجه ابن حبان والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 437

[2] - شرح المفصل لابن يعيش ، ج8 ، ص 86

[3] – التلخيص في علوم البلاغة : للقزويني ص41

[4] - الأساليب الإنشائية في النحو العربي : لعبد السلام هارون ص17

[5] – البلاغة فنونها وأفنانها ، : فضل حسن عباس ، ص156

[6] – البلاغة فنونها وأفنانها ، : فضل حسن عباس ، ص156 ، 157

ويرى أحد الباحثين أنَّ معنى التمني قد يكون حالة من أحوال النفس ؛ تتضح من خلال تحليل السياق، فالمعاني التي نعدها من باب التمني ذات طبيعة خاصة ؛ فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب وتشتاقها ، سواء أكانت بعيدة أو مستحيلة ، ثم إنَّ البعد فيها ربمالا يكون بُعدًا بالنسبة للواقع أو العرف أو العقل وإنَّما هو بُعد من حيث إحساس النفس به تقول : ليتني أفعل كذا أو أقدر عليه أو ليتني ألقى فلانًا، فتفيد بذلك أنَّك تحس ببعد هذا الفعل، أو هذه القدرة، أو هذا اللقاء ، وقد يكون هذا كله غير بعيد في واقع الأمر، أو عند غيرك ، ولكن شدة رغبتك فيه أوهمتك أنَّه مستبعد، وهذه حالة من أحوال النفس ..، ويتضح ذلك بتحليل السياق ؛ فقد يغلب على النفس الإحساس باليأس، فتستبعد القريب ، وقد يغلب الشعور بالأمل، فيُقرب البعيد "[1] ، كما أنَّ ليت – في أكثر مواضعها – وراءها ظمأ لا يروى ، وأنَّها تصف آمالًا حبيسة ، ورغائب لا سبيل إلى تحققها ."[2]

واللفظ الموضوع للتمني هو (ليت[3]) ؛ فهي أشهر أدوات التمني، وهناك أدوات أخرى مثل (لو وهل ولعلَّ وهلَّا وألَّا ولولا ولوما)[4] نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [غافر: ٣٦]، وتلك الأدوات معناها كلها التحضيض والحث ، وإذا وليهن المستقبل كنَّ تحضيضا ، وإذا وليهن الماضي كنَّ لومًا وتوبيخًا "[5]

ومن شواهد ها في شعر عبد الله، قوله من الكامل[6] :

يا ليتَ زوجَكِ قَدْ غَدا مُتَقَلِدّا سَيفًا ورُمْحًا

فشاعرنا يخاطب زوجته مبينًا لها مدى أسفه وندمه على تخلفه عن قتال محمد ρ_ وأصحابه ، وأنه لو أصبح متقلدًا سيفًا وحاملًا رمحًا لحق له أن يحتفل مع قريش ، ويا هنا للتنبيه ، ولفت الانتباه .

---

[1] – دلالات التراكيب : دراسة بلاغية لمحمد أبو موسى ، ص195

[2] – دلالات التراكيب : دراسة بلاغية لمحمد أبو موسى ص199

[3] – **ليت** : من الحروف المشبهة بالفعل ، تختص بالدخول على الجملة الاسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر كما عند البصريين ، ويعملونها عمل إنَّ لشبهها بالفعل ، لأنها مما تقدم مفعوله على فاعله نحو (ليت زيدًا قائمٌ) انظر تفصيل ذلك : الكتاب : ج2، ص131 ، وانظر : الإنصاف في مسائل الخلاف:ج1، ص144

[4] – الأساليب الإنشائية في النحو العربي : عبد السلا م هارون ، ص17

[5] – استراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص358

[6] –البيت من الكامل لعبد الله بن الزبعرى في ديوانه :ص32 ، والبيت سبق تخريجه في ص147 من الرسالة

ويقول أيضًا من الرمل[1] :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

يتمنى عبد الله رجوع صناديد قريش مرة أخرى بعد موتهم، ليحتفلوا معه بالنصر على المسلمين في أحد ، ويشاهدوا ضجر الخزرج من وقع الرماح ، ولكن هيهات هيهات لما يتمناه ؛ فهو يتمنى شيئًا بعيد المنال.

ويقول أيضًا من الطويل[2] :

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحَمْزَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقَلِ

وَأَفْلَتَنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَسْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّل

يفتخر عبد الله بيوم أحد الذي أُستُشهدَ فيه عددٌ كبيرٌ من كبار الصحابة ، وعلى رأسهم سيد الشهداء حمزة-τ - وبلغ الفخر به مبلغًا كبيرًا تمنى معه استمرار الحرب ، وصمود المسلمين حتى يفنوا عن آخرهم .

البعد التداولي والحجاجي لأسلوب التمني :

يعتبر أسلوب التمني من أهم أساليب الحجاج والتداولية ، وقديمًا أشار السكاكي إلى ذلك بتسميته" بتوليد معنى التنديم "[3] ، إذ يصبح معنى الخطاب هو ليتك فعلت كذا . أمَّا إنْ كان القصد هو التوجيه لعمل في المستقبل دون أن يسبقه فعل في الماضي من المرسل إليه ، فهو التمني المتولد منه معنى السؤال ، ولذلك يعقبها فعل مضارع ، أو فعل ماضي يؤول بالمستقبل"[4]، فقد يوجه المرسل المرسل إليه إلى فعل شيء في المستقبل، بيد أنَّ الدافع إلى ذلك التوجيه هو فعل سبق أنْ قام به المرسل إليه في الماضي ، ولكنَّه كان من وجهة نظر المرسل ، عملاً يشوبه النقص ، أو قاصرًا عن الدرجة المطلوبة والمتعارف عليها ، عندها

---

[1] – البيت من الرمل لعبد الله في ديوانه : ص42 ، والبيت في السيرة النبوية لابن هشام : ج2، ص137 ، والبداية والنهاية لابن كثير : ج4، ص56 ، وشرح شواهد المغني للسيوطي : ج2، ص552 ، وشرح نهج البلاغة : ج14 ، ص280 ، وشرح شواهد المغني للبغدادي : ج4، ص254 ، وطبقات الشعراء : ج1، ص239، والحيوان للجاحظ: ج5، ص565 والسمط : ص387 ، والكامل للمبرد : ج2 ص182 ، ورسائل الجاحظ : ج2 ، ص15 برواية : (ضجر الخزرج) ، والأسل : الرماح ، واحده :أسلة

[2] – البيتان من الطويل لعبد الله في ديوانه : ص43 ، والسيرة النبوية لابن هشام : ج2 ، ص166

[3] - مفتاح العلوم للسكاكي ، ص418

[4] -- استراتيجيات الخطاب :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص358

يوجهه بما يسمى بالتحضيض وهو الطلب بشدة وعنف ، ويظهران غالبًا في صوت المتكلم ، وفي اختيار كلماته جزلة قوية. "[1]

ومن أدوات التمني (لو) سواء أكانت مع (ودَّ)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ [القلم 9]، أو لم تكن، كقوله تعالى :﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠ ﴾ [هود:٨٠]، والغرض البلاغي من وراء استعمال (لو) في التمني هو الإشعار بعزة المتمنى ؛ لأنَّ المتكلم يظهره في صورة الممنوع ، إذ أنَّ لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط"[2]

وقد وردت في شعر عبد الله مع(ودَّ) وبدونها ، نحو قوله من الطويل[3] :

وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا بِهِمْ وَصَبُورُ الْقَوْمِ ثَمَّ جَزُوعُ

كان عبد الله شاهدًا على حال المسلمين في غزوة أحد (وهذا يقوي موقفه الحجاجي ويزيد في إقناع السامع بمراده)، ولذلك عبَّر عن حالهم كما رآه ، فأتى بالفعل ودُّوا مع لو الذي يُشعر بعظمة الشيء المُتَمنى ، فالمسلمون يتمنون أن تنشق بهم الأرض من هول الأمر، ولكن ما يتمنونه بعيد المنال ، لأنَّ الأرض لم تنشق بهم .

وقوله من الكامل[4] :

يا أيُّها الرجلُ المُحّولُ رحلهُ هلَّا نزلتَ بآلِ عبد منافِ

هبلتك أُمُّكَ لو نزلتَ برحلهمْ منعوكَ من عدمٍ ومن إقراف

استخدم عبد الله أسلوب التمني في هذه القصيدة لينجز به فعلين لأسلوب التمني ؛ أولهما التحضيض وثانيهما التنديم ؛ فقوله :(هلاَّ نزلت بآل عبد مناف) إحالة منه إلى بني عبد مناف عن طريق ذكرهم صراحة وكأنه بهذا يشير إلى كرمهم ، فالفعل الإنجازي لأسلوب التمني

---

[1] - استراتيجيات الخطاب :عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص358

[2] - علم المعاني : عبد العزيز عتيق ، ص143

[3] – البيت من الطويل لعبد الله في ديوانه :ص38 ، والبيت من قصيدة في السيرة النبوية لان هشام :ج2، ص142 ، وشرح نهج البلاغة :ج14 ، ص278 برواية (فودوا).

[4] – البيتان من الكامل لعبد الله في ديوانه : ص54 ، والبيتان في الحماسة البصرية :ج1، ص156 لمطرود بن كعب الخزاعي ، ويروى لابن الزبعرى أيضًا ؛ كذلك قال صاحب الحماسة البصرية (صدر الدين بن أبي الفرج البصري)، والبيتان في معجم لشعراء : ص283 لمطرود بن كعب ، والبيتان في أمالي المرتضي : ج2، ص268 لمطرود بن كعب أيضًا برواية (لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع)

هو التحضيض؛ بمعنى حض المسافر على السؤال عن بني عبد مناف رمز الكرم . والثاني في قوله :(لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف) ، فهو إحالة منه أيضًا إلى بني عبد مناف عن طريق الضمير في(رحلهم) ، فالفعل الإنجازي لأسلوب الأمر هنا هو التنديم .

والمتأمل في هذه القصيدة يدرك أنَّ عبد الله قد وظَّف أسلوب التمني توظيفًا تداوليًا حجاجيًا؛ فقد عقد حوارًا مع مخاطبه أظهر فيه الصفات الجميلة في بني عبد مناف ؛ فبدأ القصيدة بالنداء على محاوره (يا أيها الرجل) وحضه على النزول بآل عبد مناف ، واستخدم بعض الوسائل الإقناعية ليدعم هذا التحضيض فوصفهم –له– بأنهم (الآخذون العهد من آفاقها)، و(الخالطون فقيرهم بغنيهم) و(المطعمون إذا الرياح تناوحت) و(القائلون هلمَّ للأضياف) ، وكأنَّ محاوره سأله لماذا أنزِلُ على بني عبد مناف بالذات ؟ ، فأجابه بتلك الصفات ، فلمَّا تبيَّن له أنَّه لم ينزل عليهم في رحلهم ، لامه على ذلك . وفي لومه هذا توجيه له بأن ينزل عليهم في الأيام المقبلة ، ولنا أن نتخيل تعبيرات وجه عبدالله ونبرة صوته في توجيهه اللوم لهذا الرجل الذي حضَّه على النزول بآل عبد مناف ولم ينزل عليهم .

نتائج الفصل الثالث :

لاشك أنَّ الأسلوب الإنشائي ركن ركين من أركان الكلام ، وأساس متين من الأسس التي تقوم عليها اللغة، ولايقل في أهميته ودلالته عن الأسلوب الخبري ، لاسيما الأسلوب الإنشائي الطلبي ، ولذلك رأينا الأصوليين يهتمون بمثل هذه الأساليب، ويدرجونها في كتبهم ، ويضعون لها أبوابًا خاصة. أضف إلى ذلك أنَّ الأساليب الإنشائية لها دلالاتها الأصلية التي وضعت لها في الأساس، وقد تخرج عن هذه الدلالات لأغراض بلاغية، يحددها السياق والموقف الكلامي .

ولم يهتم علماء البلاغة بالأسلوب الإنشائي غير الطلبي ، وزعموا أنَّه قليل الفوائد في صيغه وأساليبه، وأدرجوه في سلك الأخبار ، وخصوه بعلم النحو .

وقد كان للبيئة التي نشأ فيها شاعرنا –عبد الله بن الزِّبَعْرَى– ، وأحداث عصره أثرٌ بالغٌ في طبيعة شعره، وكيفية تناوله للأساليب ، وتنوعها في شعره ؛ فقد كان لطبيعة الحياة السريعة ، والأحداث المتتابعة أثرٌ بالغٌ في أنْ يطغى الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي في شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى .

ومن أكثر الأساليب ورودًا في شعر عبد الله أسلوب الأمر، وبخاصة صيغة فعل الأمر الصريح واسم فعل الأمر ، أمَّا صيغة المصدر النائب عن فعله فلم ترد إلَّا مرة واحدة ، وأمَّا صيغة المضارع المقرون بلام الأمر، فلم ترد في شعره. وأمَّا أسلوب النداء ، فالبرغم من تعدد أدواته في اللغة إلا أنه لم يرد منها في شعر عبد الله سوى الأداة (يا) وهذا ليس عيبًا في شعره كما أسلفنا ؛ فهي أم الباب ولها مزايا لاتتواجد في غيرها من أدوات النداء .

وبالرغم من تعدد أقسام المنادى ، إلا أنَّه لم يرد في شعره من أقسام المنادى إلَّا قسمان ، هما:

1- المنادى المضاف

2-المنادى المعرف بأل

وبالرغم من ورود أسلوب الاستفهام في شعر عبد الله ، وحسن توظيفه وتناوله ، إلا أنَّه لم يستخدم كل أدوات الاستفهام في شعره ، وإنَّما اقتصر على الهمزة، وهل، ومن، وما، وماذا .

كما أنَّ شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى قد خلا من صيغتي التعجب (ماأفعله! ، وأفعل به!)، وأسلوب الإغراء أيضًا .